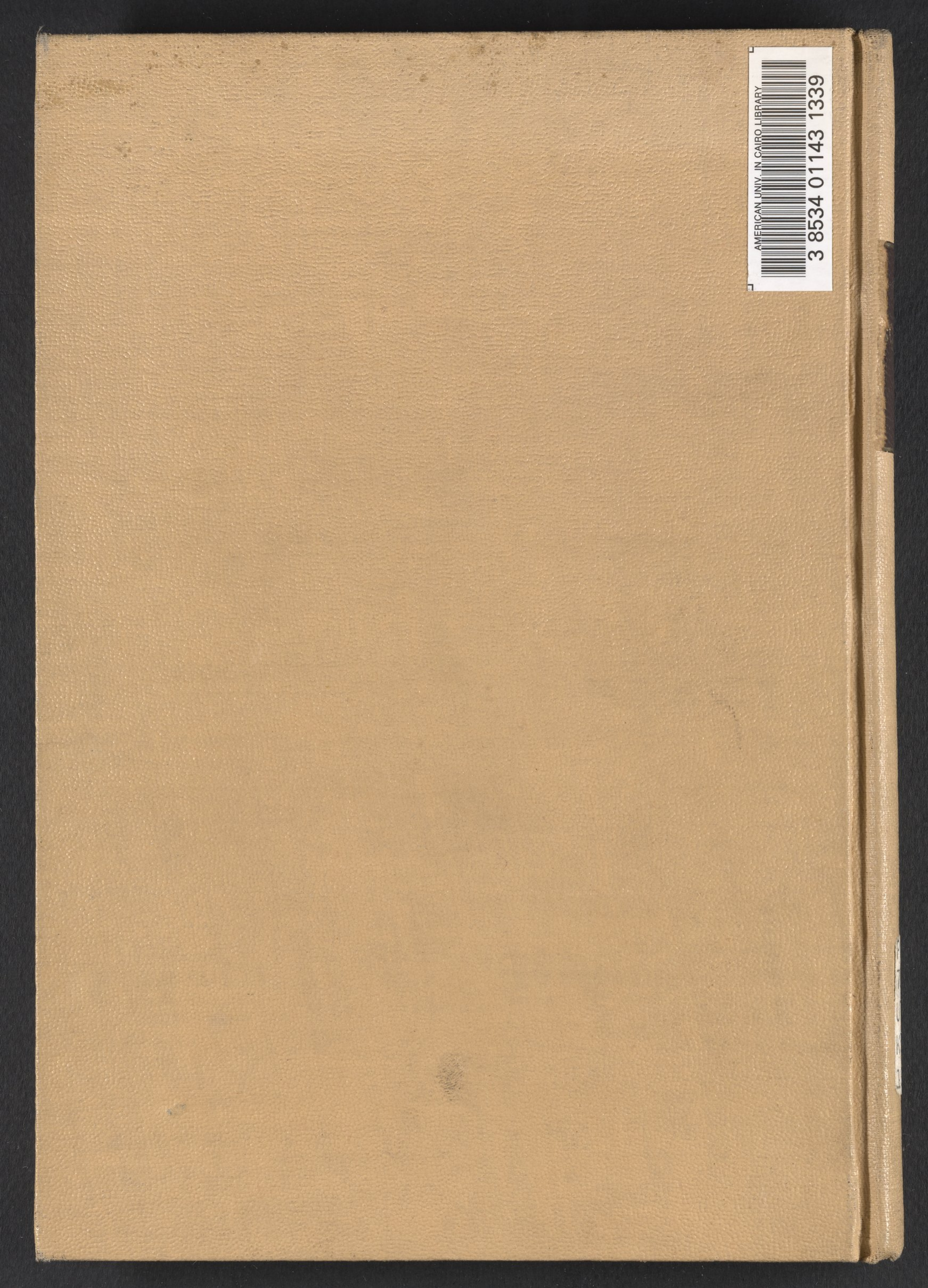
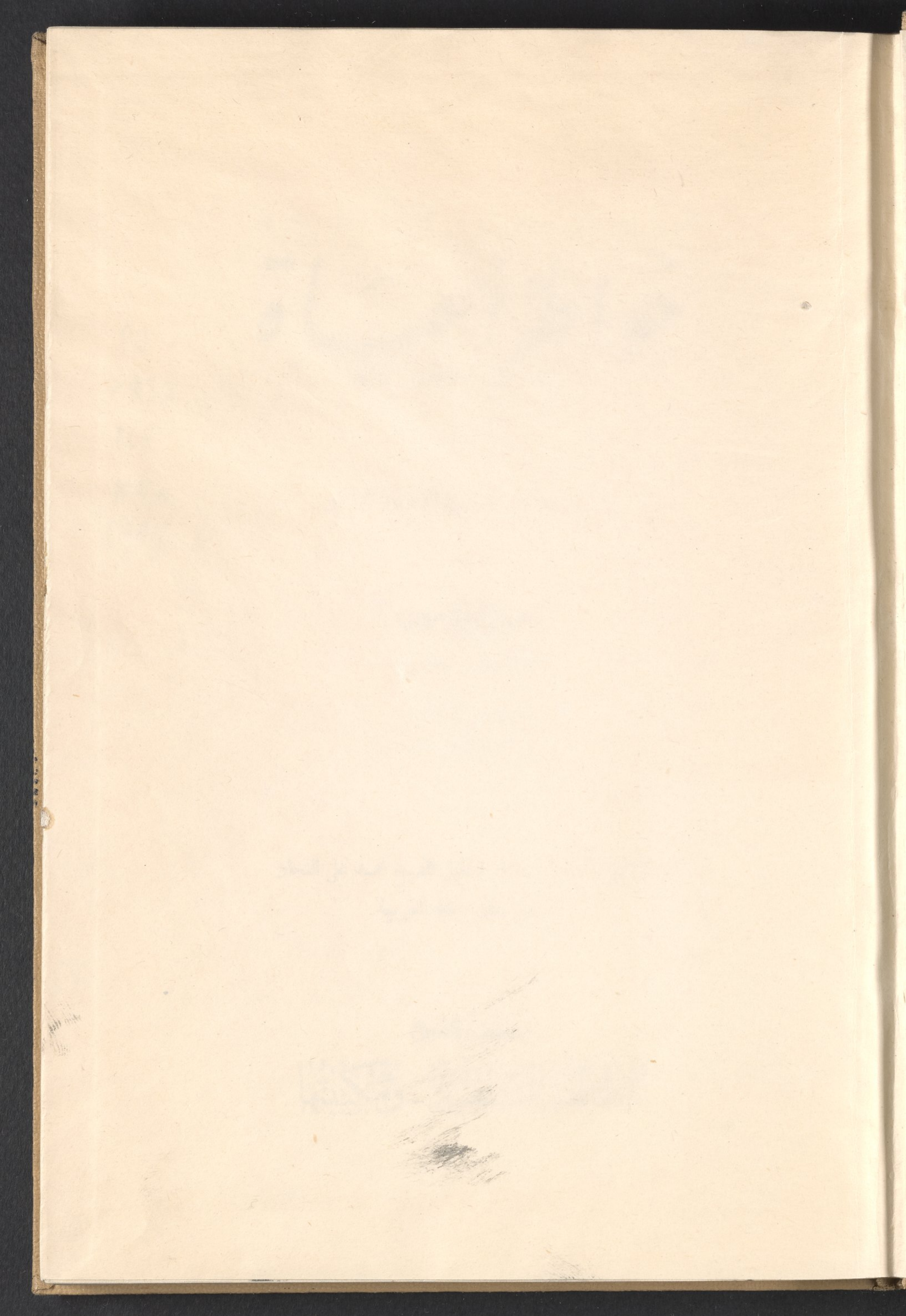
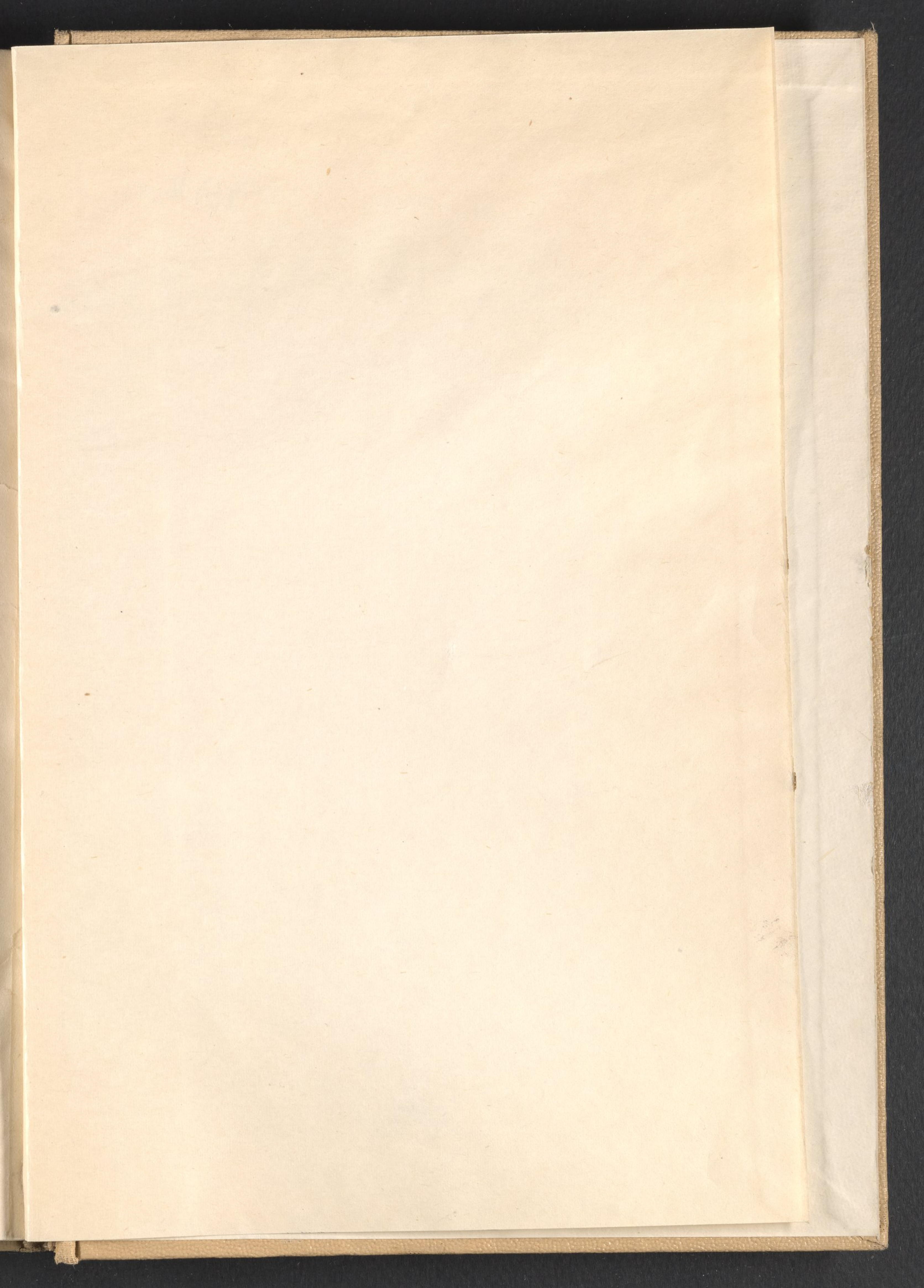
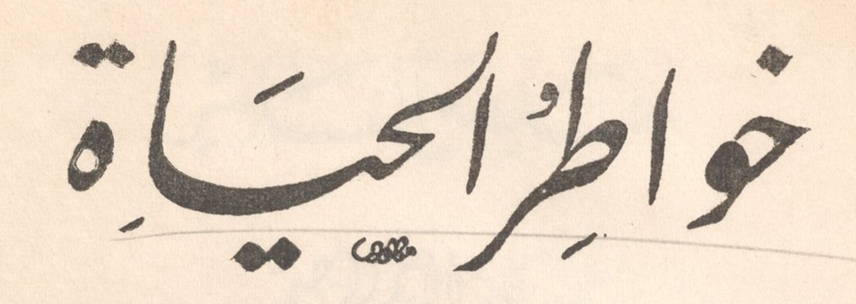

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01143 1339







ديوان صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر

السيد

محمد الخضر حسين

شيخ الجامع الازهر

وعضو مجمع اللغة العربية

ورئيس جمعية الهداية الاسلامية

علق عليه فضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد على النجار

الاستاذ بكلية اللغة العربية

عنيت بنشره

المطبعة السلفية - ومكتبتها

الطبعة الثانية

القاهرة

١٣٧٣

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربّ العالمين * وصلى اللهُ وسلمَ على سيد المرسلين
وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

و بعد فقبل أن يكون الشعر ديوانَ العرب ، كان ديوان النفس البشرية ، ومرآة المستوى الفكريّ ، وميزان التطوُّر الاجتماعى .

و إذا كان فى الشعراء من يدفع المجتمعَ بشعره فى مُنحَدر الهوىٰ ، ومن يُداهن الطغاةَ ليرتع فى السُّحت ، ومن يداجى الباطلَ لينعم فى ظله ؛ فإن منهم من يخلص النصيحة لله ورسوله وصالح المؤمنين ، فيصدعُ بالحق ليشدَّ أَزْرَ أوليائه ، و يصوغ الحِكمَةَ فتسير على ألسنة الداعين إليها والعاملين بها . ومن ثَمّ كان الشعر قبَساً من نفس الشاعر ، بل هو نفسُه وقلبه وعقله .

وأستاذنا العلامة السيد محمد الخضر حسين وقف حياته المباركة على الحق والخير من أول نشأته ، فصرف همَّه إليهما ، واستعمل علمه فى سبيلهما ، وجعل مواهبه من أسلحتهما . و إن منظوماته البليغة التى انطوىٰ عليها هذا الديوان هى « خَواطرُ الحياة » وكم كنتُ أتمنى لو أنها رُتبت متسلسلة بحسب تاريخ نظمها ، لتكونَ لنا منها ترجمةٌ أخرى لناظمها : نقف منها على رحلته فى آفاق الفكر ،

كما وقفنا على رحلته فى آفاق الأرض . وإذا فاتنا ذلك فى ترتيب هذه المقطّعات والقصائد ، فلن يفوتنا تتبعُه من البيانات التى وردت فى أول كل قطعة عن الظروف التى دعت إلى نظمها .

وإذا كان الكثيرون ممن احْتَرَفَ الشعر قد نظموا شعرهم ليرتاح إليه من نظموه لهم ، فإن أستاذنا السيد محمد الخضر لم ينظم إلا ما ارتاحت إليه نفسه مما توخَّى به مرضاة الله ، وحَسْبُه ذلك ، والله ولىّ المؤمنين .

محب الدين الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة « خواطر الحياة »

نشأتُ فى بلدة من بلاد الجريد بالقطر التونسيّ يقال لها « نفطة » ، وكان للأدب المنظوم والمنثور فى هذه البلدة نفحات تهبُّ فى مجالس علمائها ، وكان حولى من أقاربى وغيرهم من يقول الشعر ، فتذوقتُ طعم الأدب من أول نشأتى ، وحاولت وأنا فى سن الثانية عشرة نظم الشعر . وفى هذا العهد انتقلتْ أسرتى إلى مدينة تونس ، والتحقت بطلاب العلم بجامع الزيتونة ، وكان من أساتذة الجامع ومن هم فى الطبقة العالية من طلاب العلم من أولعوا بالأدب والتنافس فى صناعة القريض إلى شأوٍ غير قريب ، فاقتفيت أثرهم . وكنت أنظم قصائد تهنئة لبعض أساتذتى عند إتمام دراسة بعض الكتب . ولكنى أقبلت على طلب العلم ، وتغلّب ارتياحى له على ارتياحى للأدب حتى زهدت فى صناعة النظم ، إلا فى أوقات تقتضى أن أهنىء صديقاً حميماً ، أو فى مجالس تجرى فيها محاورات أدبية ، فتحرك داعية النظم لأن أقول البيت أو البيتين أو الثلاثة .

ولقلة إقبالى على نظم الشعر ، أو لأنى كنت أرى أن ما أنظمه منه ليس أهلاً لأن يحتفظ به ، لم يصحبنى منه عند ما رحلت من تونس إلى الشام غير شذرات علقتْ بذاكرتى ، أو شذرات وجدتها مبعثرة فى كتب استصحبتها فى رحلتى .

نزلتُ دمشق وللشعر فيها سوق غير كاسدة ، ولكنى آثرت أن أصرف القريحة فى البحث العلمى ، أو فى العمل للقضية الإسلامية ، بقدر ما أستطيع ،

وربما نزعتْ نفسى إلى أن أقول شعراً ، فأرخى لها العنان ، وأقول هو فنّ من فنون الأدب الجميل ، وللنفس فيه سلوة ، ولا سيما شعراً أطرقُ به ناحية خلقية ، أو أشارك به العاملين لإصلاح الحالة المدنية ، أو أُودعه صورة معنى لا أذكر أنى لمحته فيما طالعته من المنشآت الشعرية أو النثرية .

ثم هبطتُ مصرَ ، وكانت صناعة القريض قد ارتقت فيها إلى ما يطمح إليه الشاعر العبقرىّ ، فازددتُ زهداً فى النظم ، وقلت يومئذ : أجوده ليس فى متناول قريحتى ، وغير الأجود تتسامى عنه همتى . وربما خطرتْ لى صور من المعانى ، فى أوقات أبتغى فيها راحة ، فألبسها ثوباً من الكلام الموزون . ولم يلمّ بخاطرى فى يوم أن أجمع ما نظمته وأخرجه للناس ، حتى اقترح علىّ طائفة من إخوانى الفضلاء أن أجمعه من أوراقه المتفرقة ، وأصدره إلى عالم الأدب فى صفحات متتالية ؛ فما وسعنى إلا أن تقبّلتُ اقتراحهم ، وقلت : هو كلام موزون ، إن لم يجد فيه الأديب ما يروقه من لفظ أنيق أو معنى رشيق ، فقد يرى فيه المؤرخ أشياء يهمه أن يتعرفها من مصادر متعددة . وعمدتُ إلى ما نشر فى بعض الصحف أو احتوته بعض المذكرات ، وضممت بعضه إلى بعض ، مرتباً له على حروف المعجم ؛ ومنبهاً على المناسبة التى دعت إلى نظم القصيدة أو المقطّعة ؛ ثم عرضت على من اقترحوا علىّ جمعه ؛ فأطلقوا عليه اسم ديوان ، ولقبوه بخواطر الحياة . ودونك ما جمعت ورتبت فانقدْه بفكرك الثاقب ، وميزان منطقك العادل ، عسى أن تنبه على خلل فى تأليف الكلام ، أو عيب فى تصوير المعانى . فإن فعلتَ ، فما هو بأول شعر كشف النقدُ البرئ عما انطوى عليه من هفوات ، وإذا محضتُكَ الشكر ، فما أنا أول من شكر الناقد البصير على إخلاصه للأدب وإيثاره الصراحة فى الحق على كتم ما تقع فيه الأفكار أو الألسنة عن عثرات . وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

قافية الألف

أى فلسطين

نصبَ البغاةُ على ذراكِ[١] لواءَ وكسوا مرابعكِ[٢] الحسانَ دماءَ

كنتِ الشرى وديارك الآجام[٣] لا يبنى حواليها الجبانُ خِبـاءَ[٤]

وبنوكِ أُسْدٌ من يجسّ طباعها لم يلقَ إلا نخـوة وإباءَ

ولقد عهدتكِ والحيـاةُ أنيسةٌ وربابكِ[٥] تزهو بهجةً ورواءَ

ما سار فيـك الغيم إلا صَيّباً[٦] والريح إلا أن تـكون رخاءَ[٧]

لا يحتسى من ماء أرضك صائل فيما عرفت سوى شعاع ذُكاءَ[٨]

لا دمع إلا من مآقى خاشع لله يدعو خِيفـةً ورجاءَ

لا حَـرّ إلا غيرةٌ فى أنفس تهوى إذا حمِىَ الوطيسُ[٩] لقاءَ

ما لليهود استوطنوك وصاعَروا[١٠] بعد الهوان خُدودَهم خُيَـلاءَ

---

(١) الذُرا : جمع ذُروة ، وذروة الشىء : أعلاه .

(٢) جمع مَرْبَع ، وهو الموضع يرتبع فيه القوم .

(٣) الشرى موضع فى بلاد العرب تنسب إليه الأسود . الآجام : جمع الأَجَمَة ، وهو الشجر الكثير الملتف . والمراد مأوى الأسد .

(٤) هو البيت من صوف أو وبر أو شعر .

(٥) جمع الرَبوة وهى ما ارتفع من الأرض .

(٦) هو المطر يصوب من السماء وينزل .

(٧) الرخاء : الريح الليّنة .

(٨) ذكاء ممنوعة الصرف ، هى الشمس .

(٩) الوطيس : الفُرن . وحَمْى الوطيس كناية عن اشتداد الحرب .

(١٠) يقال : صاعر خده : أماله عن النظر إلى الناس تهاوناً من الكِبر .

أفما نبت بهـم مواطن لم تطق ... مكراً يحوك شقاً لهـا وبلاء

ينفيهمُ الزعماء عن ساحاتها ... نفي الرياح عن الميـاه غُثاء[(١)]

هاتى فِلَسْطينُ الحديثَ عن الذى ... خلعت يداه على اليهود ولاء

وأعدّ للعرب الكرام قذيفةً ... فتاّكة أو طعنةً نجْـلاء[(٢)]

يعطيهم عهدَ الحليف مُداهنـا ... ويَسومُهم سوء العذاب عداء

يسقيهم السمَّ الزُّعاف[(٣)] فإن شكوا ... عاطاهم شَهْدَ الكلام رياء

يهتزُّ من طرب لرؤية ثاكل ... تبْـكى بهاطِل دمعها الشهداء

أفيحسب القاسى الفؤاد دموعَها ... ودمَ الشهيد الماءَ والصهباء[(٤)]

يامن دهى الأوطانَ وهى أمينة[(٥)] ... واجتاح أطفالا بهـا ونساء

لا تأمننّ الدهرَ إنَّ صروفه ... لا تقبل الذهبَ النُّضار[(٦)] فداء

والعرب تأبى الضيم إلا أن ترى ... ضيما تسنم[(٧)] قبلهـا الجوزاء

ماوعد بِلفْور[(٨)] سوى الزَّبَد[(٩)] الذى ... يطفو ويذهب فى الفضاء جُفاء[(١٠)]

أفعبدَ فتح ابنِ الوليد[(١١)] وصحبه ... للقدس وعدٌ يستحق وفاء

---

(١) الغثاء : هو البالى من ورق الشجر يجره السيل . (٢) أى واسعة .

(٣) السم الزعاف هو الذى يقتل لوقته . (٤) هى الخمر .

(٥) أمينة أى آمنة ، على حد قوله تعالى ﴿ وهذا البلد الأمين ﴾ أى الآمن وهو مكة .

(٦) النضار هو الجوهر الخالص . (٧) يقال تسنم الشىء : علاه .

(٨) هو من ساسة الإنكليز وعد اليهود أن يمنحهم من فلسطين وطناً قومياً لهم ، وكان أحرى به لو كان كريماً أن يمنحهم من حرّ ماله ومال قومه .

(٩) الزبد هو القذر الذى يطفو على وجه الماء .

(١٠) الجفاء هنا : الباطل .

(١١) يريد البطل المغوار خالد بن الوليد . وكان فتح القدس سنة ١٧ ، وكان =

مَن مُبلغُ الحُنفاءَ(١) أمةَ أحمد نبـــأ يطيرُ له الفؤاد هباء
تلك الأيامى(٢) عضهن بنابه بؤس وهنَّ الصامتاتُ حياء
ذاكَ العظيم تفقدت(٣) لحظاته من كان يطعمه صباح مساء
ويحَ الرضيع يمصُّ ثديا لم تذر فيه الكوارث للرضيع غذاء
ونرى ابن يعرب فى الصفاد(٤) وغيره طلْقٌ يجر — كما يشاء — رداء
أننامُ عن إسعافهم والدينُ قد عقـد ائتلافا بيننـا وإخاء
هل من عواطف كالنسيم يمرُّ فى سحَر بزهر حديقة غنـاء
كل يجود بما استطاع فما الندى وقفاً على من يُجزلون عطاء
لا تُنجدوهم بالتحسّر وحـدَهُ إن التحسر لا يُزيح عنـاء
لا تَنهض الأوطان من كبَواتها إلا على أيد تفيض سخـاء
ما ساد قومٌ أُشْربوا شُحّاً وإن بلغوا السماء شجاعة وذَكاء
أمن المروءة أن نُنادَى للتى فيها النجاةُ ولا نجيب نداء
نبغى النجاة ولا جهاد، كمدنَف يبغى الشفاء ولا يُسيغ دواء
إن تحسبوا البخلاء أحياء وهم صُمُّ المسامع تظلموا الأحيـاء
لو قيل مَن مثْل الحجارة فى الورى؟ لم أعْدُ فى تمثيلىَ البخـلاء

= ذلك صلحاً على يد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، والأمير أبو عبيدة. وقد نسب الفتح بها إلى خالد بن الوليد، إذ كان هو بطل موقعة اليرموك التى كانت فاتحة الفتوح فى بلاد الشام.

(١) جمع حنيف وهو الثابت على الاسلام المخلص له.

(٢) جمع أيم وهى من لا زوج لها.

(٣) تفقد الشيء: طلبه عند غيبته.

(٤) الصفاد: ما يوثق به الأسير.

بسطَ اليهودُ إلى اليهود أكفَّهم بالمال من بيضاء أو صفراء[١]
ومتى أرى قومى قد استبقوا العلا بسخاء كفّ يكشف اللأواء[٢]



(١) البيضاء : الفضة ، والصفراء : الذهب . أى من درهم أو دينار .
(٢) اللأواء : الشدة .

بعض أمراضنا الاجتماعية

أيعود للشرق الحماسةُ والإباء فتعود عزّته ويبتهج العلاء؟
قالوا استقام الشرق وهو يسير فى نهج الفلاح وفى عزيمته مَضاء
ولشدّ ما خضنا الخطوب ولم نرد إلا العلا وجرت بِوادينا دماء
قلنا الدّعارةُ لم تزل فى أرضنا ولرهطها فى كل حاضرة لواء
تلك الخمور تدار فى علَن ولا لوم ينال المعلنين ولا جزاء
كم من مآدبَ فى البلاد تقام فى رأْد الضحى وعلى موائدها الطلاء[1]
فتيَاتنا إن رمتُ بثّ شكايتى من خطبهن يسابق الشكوى بكاء
كنّ البدورَ حصانةً ووَسامةً والحسن يبهر إذ يخالطه الحياء
وحُجورهن مدارس الأطفال إذ طهرت فخظهمُ الطهارة والنقاء
ما بالهنّ اليوم يُرضين الهوىٰ ما شاء، لا راعٍ يُهاب ولا قضاء
أقصىٰ الألهُ ملاهياً ومراقصا نُصبت كأشراك يصاد بها النساء
فيَضعن أحمرَ فوق أبيضَ زينة ويَردْنها كالعيس يقتلها الظماء
يَغشينهــا وثيابهنّ كأنها لشفوفها فوق الصلا[2] والبطن ماء
أسفاً على عِرض الفتاة ألم يكن من غَيرة الأمِّ العطوف له وقاء
واليوم ترسلها يدُ الأب نفسه بين الشباب كأنه منها بَراء
وتعودُ من تلك الخلاعة مَوهنا[3] وفؤادها من عزّة التقوىٰ هواء[4]
قالوا دواء قضاتنــا قانون با ريز، وقانون الاله هو الدواء

(١) رأد الضحى: ارتفاعه. الطلاء: الخمر. (٢) الصلا: وسط الظهر.
(٣) الموهن: نصف الليل أو بعد ساعة منه. (٤) أى خلاء.

سُسنا به الأقوام فانتظمت لنا ... فى الشرق والغرب العدالة والدهاء
لا تخرُج الغبراء مثلَ محمــــد ... أو مثل شرع آثرته به السماء
ضاعت بجانبها كفاياتُ بنىً ... آساسَها العـــلمُ المؤثل والذكاء
بَلْوَى الرياسة أن تناط بمن له ... نفس تعبّـــدها غرور أو رياء
يرنو إلى الدنيا بمرآة الهوى ... و بعين أعشىً والعشى داء عياء(١)
صوت من الشيطان ردَّده الأُلىٰ ... مرَدوا على تمثيله وهو الهذاء(٢)
نادَوا بهـــا قومية خرقاء أو ... وطنية ، لا حبَّذا ذاك النـــداء
و إذا ذكرتَ الدين قالوا خَلِّنَا ... من ذكره وعلى أخوَّته العفاء(٣)
إن المدارس كالسمٰوات العلا ... وعلومها مثل النجوم لهـــا ضياء
وكأنما علْم الديانة بينهـــــــا ... قمر السماء إذا تجلى أو ذُكاء(٤)
وسياسة التثقيف يشغل بالهـــا ... ويهمها غير الهدى حتى الغناء
ومتى يُماط أذى الدعايات التى ... توحى ضلالا والضلال هو الوباء
فدعاية الإلحاد ينفُث سمَّهـــا ... رهط يؤازرهم عليهـــا أغبياء
إن جئت ناديهم بأبلغ حجة ... فجوابهم عنها التهكم والبَـــذاء
ودِعاية فى الفرس بُيِّت أمرها ... ياليتها ذهبت كما ذهب الُجفاَء(٥)
جاست خلال الشرق واغتالت به ... نَشْئاً ولم يغتلهم إلا الشقاء

---

(١) أى لا يبرأ منه .
(٢) الهذاء : القول الباطل .
(٣) العفاء : الهلاك والبلى .
(٤) أى الشمس .
(٥) الجفاء : الزبد الذى يطفو على الماء

خرجوا عن التوحيد وارتدُّوا إلى ... شِرك أما قالوا الإله هو البهاء ! (١)

ودعاية فى قاديانَ (٢) تبرَّجت ... لكنَّ حليتها خداع وافتراء

زعماؤهم — وغلام أحمدَ رأسُهم — ... زعموا بأنهمُ دعاة أنبيـاء

ودعاية هى من صنيع الغَرْب تر ... عاها سياسته ويغمرها الحِبَاء (٣)

لمن المدارس (٤) نَبلها شُبَه ومَرْ ... ماها جحود فى النفوس أو امتراء

عجباً لنـا نلقى إلى أحضانها ... أكبادنا من بعد أن بَرِح الخفاء

أعطيت علماً ما جنيت به سوى ... ذهب ، وصار البيتُ همى والغذاء

إن لم أذكِّر بالحقائق دائبا ... فأنا وغير العالِمين بهـا سواء

هى تلك أمراض نئنُّ لهـا ولم ... يهدأ صباح مذ عرتنا أو مساء

لا خير فى الرؤساء إن لم ينهضوا ... بالشرق حتى يَخلف الداءَ الشفاء

قالوا حوالينا غريب (٥) ربمـا ... يبدى رغائب قد تعارض ما نشاء

قلنا الرئيس الحرُّ لا يثنيه عن ... إصلاح شأن الشعب خوف أو رجاء

---

(١) البهاء : لقب حسين زعيم الطائفة البهائية . وللأستاذ الأكبر مقال فى الحديث عن نحلتهم نشر فى مجلة نور الإسلام فى السنة الأولى ، وفى رسائل الأصلاح له .

(٢) قاديان : بلدة فى الهند ، ولصاحب الديوان رسالة فى إبطال نحلة القاديانية

(٣) الحِباء : العطاء والمال .

(٤) يريد المدارس التى يقوم عليها جماعات التبشير

(٥) يريد المستعمرين من الغربيين .

العرب والسياسة

كنت فى قطار بضواحى برلين يرافقنى مدير الأمور الشرقية بوزارة الخارجية ، وكان يتحدث مع شاب ألمانى باللغة الألمانية ، ثم أقبل علىّ وقال لى : أليس هكذا يقول ابن خلدون : إن العرب أبعد الناس عن السياسة ؟ فقلت يريد العرب قبل دخولهم فى الإسلام .

وبهذه المناسبة نظمت هذه الأبيات :

عذيرى (١) مِن فتىً أزرى بقومى	وفى الأهواء ما يلد الهُـذاء
يقول : العرب ظلُّو فى جَفاء	وما عرفوا السياسة والدهاء
سلوا التاريخ عن حَكم تملت (٢)	رعاياه العـدالةَ والرخاء
عزوفِ (٣) النفس عن ترف ذكورٍ	لعقبى مَن أجاد ومن أساء
همام كان سامرهُ (٤) وأقصى	بـلاد فى مهابته سواء
هو الفاروق (٥) لم يدرك مداه	أميرٌ هزّ فى الدنيـا لواء

---

(١) أى هات عذيرى أى عذرى من مساءتى هذا الفتى ، يريد : إنى معذور فى التشهير به والزراية عليه .

(٢) تملت : تمتعت ، يقال تملى الشىء أى تمتع به .

(٣) يقال عزف عن الشىء : زهد فيه وانصرف عنه .

(٤) السامر : محل السمر ، وهو الحديث ليلا .

(٥) أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

قوس الغمام

قيلت فى برلين

أيَخفى ضميرُ المرء يوماً ولو سما　　إلى الذروة القصوى ضحىً ودهاءَ
إذا كتمتنا الشمس ألوانها ضحى　　يبوح بها قوس الغمام (١) مَساءَ

حمرة الشفق

قيلت فى برلين

هذا الدجى اغتال النهارَ ودسَّه　　تحت التراب مضرجاً بدمائه
ما حمرةُ الشفق التى تبدو سوى　　لطْخ (٢) من الدم طار نحو ردائه

ما ليل أرضى

قيلت فى مصر

إن لم أبتْ أحدو إلى أوْج العلا　　هماً فلا طلعت علىَّ ذُكاء
ما ليل أرضى إن يقطِّب أفقها　　وعليه من نسج الغروب رداء
بل ليلها زمن يفوت ولم يكن　　للفكر أو للعلم فيه نماء

---

(١) هو قوس قزح وهو الخط المنعطف فى السماء على شكل القوس ، قد يحدث عقب المطر فيه ألوان مختلفة .

(٢) اللطْخ من الشىء : القليل منه .

الأثرة بين الأصدقاء

سايرتُ خلاًّ فى الهجير(١) فحاد عن   ظـل وآثرنى ببرد هوائه

فأبيت أن أرد الظـلال وصاحبى   يلقى وهيـج الشمس فى غُـلَوائه

ولواحتسى الماء الزُّعاق(٢) حسوته   عبًّـا ولو جاء الفرات بمائه

والودُّ ان شابته يوما أثرة(٣)   ضلت معالم صدقه وصفائه

---

(١) الهجير : شدّةُ الحرّ .

(٢) الزعاق : الماء الغليظ المر الذى لا يطاق شربه .

(٣) الأثرة : الاستئثار .

قافية البـــاء

تحية المجمع

قيلت فى افتتاح جلسات المجمع اللغوى ، لتحية المجمع والإشادة باللغة العربية والتنويه بمآثرها وشكر المعنيين بها .

ما زلتَ تقتنص المُنى أسرابا … وتدير من خمر الصفـا أكوابا
يُزهى فِنـاؤك بالرمال كراحـة … لبست من الذهب المذاب خضابا
فعلام تشكو الدهر شـكوى قاطن … خطفت يد الترحال منه صحـابا
أوجسْت رعبا إذ رأيت ركائبـا … حملت الى مرسى السفين عيابا[1]
ولسَرْعَ[2] ماطلعت بدور والنوى … ترنو لتقذف فى الفؤاد شهابا[3]
صفر المنبِّه للرحيـل وليتهم … سمّوا وغى هذا الصفـير نعابا[4]
شيّعت بالطرف السفينة شاخصـاً … حتى توارت بالعبـاب فآبا[5]
وإذا انثنى طَرْفى فقلبى لا يرى … غـير السفينة للقلوب مآبا
يارامياً عن قوس جالينوس[6] هل … ألفيت للقلب الشجىّ طبابا[7]

---

(١) جمع عَيْبة ، وهى ما توضع فيه الثياب .

(٢) سرْع : بسكون الراء للتخفيف ، وأصله سَرُع ، ويقال أيضاً : سُرْع بنقل ضمة العين إلى الفاء ، أى ما أسرع ما طلعت بدور . (٣) الشهاب : شعلة نار

(٤) الوغى : الصوت . النعاب : هو صوت الغراب . وهو آية البين والاغتراب

(٥) أى رجع . والضمير فيه للطرْف .

(٦) يقال : رمى عن قوس فلان إذا نزع منزعه وسار سيره . والمراد هنا من يطب طب جالينوس ، وهو من حكماء اليونان .

(٧) يريد علاجاً له . والطباب : ما يُطب به الداء كما فى الأساس .

هذا الأسى تذكيه ذكرى رامةٍ[(١)] وتزيده ذكرى العقيق[(٢)] لمابا[(٣)]

أسلو البقاع سوى تهامة إنها كانت اذا خبروا البلاد لبابا

هى هالة العرب الألى شادوا على هام النجوم الزاهرات قِبابا[(٤)]

وأمدَّهم وحىُ السماء بحكمة ساسوا بها الأجسام والألبابا

ان سولموا كانوا الملائكَ سُجَّدا أو حوربوا كانوا الليوث غضابا

عرِّج على التاريخ يملِ عليك من خطرات هاتيك النفوس عُجابا

تلقى منابر فى صدور محافل تجرى بها نُهر البيان عذابا

تلقى مجرَّ قناً[(٥)] ومجرى ضُمَّر[(٦)] خلقت كما يبغى الكماة عرابا[(٧)]

ما ضرَّ من ملكت يداه صوارماً ألاّ يرد إلى الطغاة جوابا

بهر الرشيدُ[(٨)] بقوله لمهدد : سترى الجوابَ كتائباً وحرابا

---

(١) منزل فى طريق البصرة إلى مكة .

(٢) هو واد عليه أموال أهل المدينة .   (٣) هو اللهب .

(٤) الهالة فى الأصل دارة القمر . يريد أنها مواطنهم ، قد كانوا فيها أقماراً وضياء .   (٥) هى الرماح .

(٦) أى خيل ، جمع ضامر .   (٧) أى منسوبة إلى العرب .

(٨) كان بين الرشيد وملكة الروم رينى عهد ، فخلعت رينى ومُلك نقفور ، فكتب إلى الرشيد : من نقفور ملك الروم إلى هرون ملك العرب ، أما بعد فإن الملكة التى كانت قبلى أقامتك مقام الرُّخّ وأقامت نفسها مقام البيدق ، فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أضعافه إليها ، لكن ذلك لضعف النساء وحمقهن . فإذا قرأت كتابى فاردد ما حصل لك من أموالها ، وافتد نفسك بما تقع به المصادرة لك . وإلا فالسيف بيننا وبينك . فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزه الغضب حتى لم يقدر أحد أن ينظر إليه ، وتفرق جلساؤه . فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب « بسم الله الرحمن الرحيم . من هرون أمير المؤمنين إلى نقفور =

قلمُ ابن يحيى (١) كان بين حُماته ... يسدى نعيما أو يذيق عذابا
ونأوا فلم يسعده فضل بيانه ... حتى توسَّد بالعراء ترابا
والسيف فى عَشواءَ (٢) لو لم يستضىء ... بسنا اليراعة فى الخطوب لخابا
فهما جناحا الشَّعْب إذ يبغى العلا ... وإذا هما فاتاه كان ذنابى (٣)
آه تصدع ما بناه الشرق من ... مجد وأوشك أن يصير يبابا
عفتُ الحياة وكدت من أسفى على ... مجد تصدَّع لا أسيغ شرابا
من ذا ينبئنى بلهجة مُلهَم ... نبأ يزيح عن الحشا أوصابا (٤)
أنرى المياه القُتْم (٥) تحت سمائنا ... شفَّافة ، ونرى الثِّماد (٦) عبابا
وإذا صفا وِرْد الحياة لأمة ... مدَّ الفلاح بأرضها أطنابا (٧)
مهلا كأنى شِمت برقَ حماسة ... بين الجوانح فاطَّرَحت عتابا
ولمحت فى شباننا وكهولنا ... عزماً صميما لا يهاب صعابا
عزم هو الصمصام (٨) إلا أنه ... لم يتخذ مثل السيوف قِرابا (٩)
ليطلْ على الآمال ليل أو تقم ... من دونها شمُّ الجبال عقابا (١٠)
عهد علينا أن نعيد بعزمة ... عُمَرية هَرَم الزمان شبابا

= كلب الروم . قد قرأت كتابك يا ابن الكافره . والجواب ما تراه لا ما تسمعه ، والسلام » . ثم سار الرشيد من يومه حتى نازل الروم وغلب عليهم .

(١) هو عبد الحميد بن يحيى الكاتب . (٢) عشواء : ظلمة وضلال .

(٣) الذنابى : الذنب . (٤) جمع وصب : وهو المرض .

(٥) جمع الأقتم وهو الأسود (٦) الثماد : الماء القليل

(٧) جمع طُنُب . وهو حبل يُشدُّ به سرادق الخباء

(٨) هو السيف لا ينثنى (٩) قراب السيف : غمده

(١٠) جمع عقبة ، وهى المرقى الصعب

أنا إن يئست قضيت بغية شامت وحلا الهجاء لمن يروم سبابا
لو أن يأس النفس صوِّر طائرا لرأيته بين الطيور غرابا

* * *

رمنا السعادة فى الحياة فلم نجد غير المعارف للسعادة بابا
والعلم كاللبن الغريض[(١)] يطيب إن أنقيتَ أقداحا له ووطابا[(٢)]
لا خـير فى علم وعته نقيبة[(٣)] كشفت عن الطبع الذميم نقابا
أو ما ترى شهد الغمام[(٤)] يمر إن لاقى مُرارا فى الفلا أو صابا[(٥)]
والعـلم لو لم تحتضنه اللهجة الـ فصحى لعز على العقول طلابا
ومفاتح العرفان فى أيدى الأُلى راضوا البيانَ خطابة وكتابا
والعُرْب قدما مهَّدوا لحضارة الـ أمم الحجور وفتَّحوا الأبوابا
حضنوا العلوم وأنعشوها بعد أن كادت تشقُّ من الأسى أجيابا
واستطلعوا أسرارها فبدت كما يبدى المزاج على الكئوس حبابا[(٦)]
وتبوَّأت من لهجة فينانة[(٧)] نُزُلا كأندية الكرام رحابا
هى لهجة حظيت بنطق محمد فزكا جَناها فى اللغات وطابا

---

(١) يريد حديث العهد بالحلب
(٢) جمع وَطْب ، وهو سِقاء اللبن
(٣) النقيبة : النفس ، والنقاب البرقع . وبين النقيبة والنقاب جناس
(٤) الشهد : العسل . يريد ماء المطر على التجوز
(٥) المُرار : شجر مُرٌّ ، واحده مُرارَة . الصاب : شجر مر
(٦) الحباب ـ بالفتح ـ الفقاقيع التى تطفو على وجه السائل
(٧) أى كثيرة الأفنان واسعة النواحى . يقال : غصن فينان

لـكنْ عرتها غفوة وقرائح الـ علماء تغزو أوهُداً[1] وهضابا[2]
مسحت عن الجفن النُّعاس يروعها أن تُزدَرى بين اللُّغى وتعابا
ورأى رجال العلم كيف تكاملت لهجات قوم سايرته جِنابا[3]
فاستنكفوا ألاّ يـكون شعارُهم فى الدرس حرفَ الضاد والإعرابا
نهضوا كما تبغى الكرامة وانتضوا[4] عزما يردّ الراسيات هبَـابا[5]
جنحوا إلى لغة الفصاحة وانتقوا كلمـاً كأحداق المها[6] خلاّبا
واستوردوا العلم الحديث حياضها فسقته بالكأس الدهاق رضابا[7]
ساروا على نهج المقاييس التى كانت بهـا ولاّدةً منجابا
ومن اقتفوا نهج القياس تصيدوا ما لا يحيط به اللسان حسـابا
هى سـيرة عقدت لمصر زعامة لتقيم قسـطا أو تقول صوابا
والقسط فى رأى الحـكيم سياسة ترعى الهـدى والعلم والآدابا

---

(١) جمع وهدة ، وهى الأرض المنخفضة
(٢) جمع هضْبة ، وهو الجبل المنبسط على وجه الأرض
(٣) يقال : جانبه جنابا ، صار الى جانبه
(٤) يقال انتضى السيف : سله من غمده ، جعل الحزم سيفا ينتضى
(٥) الهباب : الهباء ، وهو دُقاق التراب
(٦) جمع المهاة وهى البقرة الوحشية
(٧) الدهاق : المترعة المملوءة . الرضاب : هو العسل

أيها الانسان

أما كفاك ظباء أو مهاً[(١)] بِرُبا
حتى تقنصت آساد الشرى[(٢)] بزُبا[(٣)]

وما قنعت بما يطفو على لجج
فغصت تلقط درًّا تحتها رسبا

ألست أبدعت قولا إتستبين به[(٤)]
ما فى الضمير فكان الثغر والشنبا[(٥)]

أرسلتَه زمنا فلم أقمت له
وزنا ؟ أكان حصى ثم انثنى ذهبا ؟

قلَّبت وجهك بعد الأرض فى فلك
وبت ترصد منه السبعة الشهبا

هلا تفقهت عنها فى حقائق ما
وراءها وجلوت الشك والرِيَبا

مشى اليراع[(٦)] على القرطاس فى مهَل
والرأى ينزل من أفق الحجى خببا[(٧)]

فكان أن زدت فى الديوان راقمة[(٨)]
تخط فى الطرْس خطَّ البرق لو كتبا

صُغت الحديد مطايا[(٩)] إذ تلبثت ا
جيادُ أو لقِيَت من سيرها نصبا

واشتقت نجوى أليف فاهتديت إلى
ما يُمتع السمع منها أينما ذهبا[(١٠)]

حكى الصدَى صيحة رجَّت فجئت بما
يحكى القصائد أنى شئت والخطبا

ما ضاقت الأرض يوما عن خطاك لِما
صَعَدت فى الجو تحكى الطير والسحبا

---

(١) المها : تقدم تفسيرها فى الصفحة الآنفة

(٢) أنظر تفسير الشرى فى الصفحة ٧

(٣) جمع زبية وهى حفرة تحفر للأسد ليقع فيها

(٤) يريد الكلام ونعمة البيان

(٥) يريد أنه مثلهما فى الحسن . والشنب رقة الأسنان وعذوبتها

(٦) يريد القلم (٧) هو ضرب من العدْو

(٨) يريد آلة الكتابة المخترعة حديثا (٩) يريد قطر سكة الحديد

(١٠) يريد المِسرَّة (التلفون)

خطبت دهرا ولم تُسمع سوى ملأٍ ... واليوم تسمع عجم الأرض والعُربا [1]
حبُّ الحياة استثار العزم منك إلى ... طب وحرب فكنت البرءَ والوصبا [2]
أرسلت فى كل واد رائدا فدرى ... بحكمة البحث كنهَ الأمر والسببا
لكننى ما دريت اليوم أنك قد ... أكملت فى نفسك الأخلاق والأدبا

تدريس صناعة الانشاء

من قصيدة قدمت لنظار جامع الزيتونة بتونس
سنة ١٣٢٨ هـ يطلب بها العناية بدراسة الانشاء

مَقامكمُ الجديرُ بأن يُهابا ... ومطلبنا الجدير بأن يجابا
أرى بالجامع السامى بحورا ... من العرفان زاخرة عذابا
ولكنَّ الخصاصة [3] فى فنون ... تهيج بنا المخافة أن نعابا
فان صناعة الانشاء خاست [4] ... بضاعتها فلم تبلغ نصابا
وكيف يعزّ والألفاظ فصحى ... علينا أن نُعيد لها الشبابا
ولا نرمى بسهم الفكر إلا ... يقول العالمون لقد أصابا
نجرد للمعالى سيف حزم ... يمزِّق دون طلعتها الحجابا
ومَن صرف العناية فى ارتقاء ... إلى أعلى الذُّرا اقتحمَ العقابا [5]
ونضرب عن مقالة من نعاها ... ليخمد من عزائمنا التهابا

---

(١) يريد المذياع : الراديو ... (٢) الوصب : المرض
(٣) هى الفقر والحاجة ... (٤) أى كسدت
(٥) انظر رقم ١٠ ص ١٩

يقول ابن العميد[١] لها ختام وعنـد فواته نفضت جرابا

فتلك شهـادة مسح التغالى عليهـا من سماجته خضابا

فـكم من فتية هزُّوا يراعا وأجلوا عن مباسمها النقابا

جنوا من دَوحها[٢] ثمراً لذيذا وأجروا من عُصارته رُضابا

ولا ترقى شئون الشعب إلا بأقلام تناقشه الحسـابا

وتـكشف عن مُحَيَّا الحقّ لبساً أثار على وَسامته سحـابا

وما الحادى بشعر أبى فِراس[٣] وقـد جسَّت أنامله الربابا

بأعذبَ من صدى قلم تهادى على طرس[٤] يخط به كتابا

---

(١) هو أبو الفضل محمد بن الحسين صدر وزراء البويهيين . كان أوحـد العصر فى الكتابة ، وكان يدعى الجاحظ الآخِر . كانت وفاته سنة ٣٦٠ هـ . عن معاهد التنصيص ١ : ١٧٦

(٢) واحده دوْحة ، وهى الشجرة العظيمة

(٣) أبو فراس هو الحارث بن أبى العلاء سعيد بن حمدان التغلبى ابن عم سيف الدولة بن حمدان ، كان فرْد دهره وشمس عصره : أدبا وفضلا وكرما ومجدا وبلاغة وبراعة وفروسية وشجاعة ، وقد قال فيه الصاحب بن عباد : بدىء الشعر بملك ، وختم بملك . يعنى امرأ القيس وأبا فراس . وكانت وفاته سنة ٣٥٧ هـ . عن ابن خلـكان

(٤) هى الصحيفة

عبرات الأشجار

قيلت فى قرية لنداو ، والثلج على الأشجار وقد طلعت عليه الشمس فأخذ يذوب . وقرية لنداو على بحيرة بودن من المملكة الألمانية

نَسجَ الغَمامُ لهذه الأشجار من غَزْل الثلوج براقعا وجلاببا[١]

والشمسُ تبعثُ فى الضحى بأشعة تسطو على تلك الثياب نواهبا

فبكت لكشف حجابها أوَما ترى عبراتها[٢] بين الغصون سواكبا

ريح تنسف فى روضة

قيلت فى برلين

جَاد هذا الروضَ غيثٌ فازدهى وغدا بلبله يُطرى السحابا

وتمادى مسهبِا فى مدحه فحثت فى وجهه الريحُ ترابا[٣]

---

(١) جمع الجلباب وهو القميص . وحذف منه الياء والأصل الجلابيب ـ وفى شعر أبى الطيب :

بأبى الشموس الجانحات غواربا اللابسات من الحرير جلاببا

(٢) جمع عَبرة ، وهى الدمعة ، يريد قطرات المطر

(٣) هذا اقتباس من الحديث « احثوا التراب فى وجوه المداحين » وقد رواه أبو هريرة وابن عمر . وهو حديث حسن . انظر الجامع الصغير وشرحه

وجه الموت غير كئيب

قيلت على فراش مرض

سنة ١٣٤٣

أقول فلا أرتاد غير خصيبِ ... وأنظم لكن لا أطيل نسيبي
أجدُّ وإن رام النديم دُعابة ... فلم تر غيرَ الجد عينُ رقيبي
أحث إلى داعى المعالى مطيتى ... ولست إذا يدعو الهوى بمجيب
وما برحت هذى الحياة تروعنى ... بكبوة آمال وفقد حبيب
فأنكرتها لا البدر يطلع مؤنسا ... ولا الروض يُسليني بنفحة طيب
وما ليلها إلا سَريرة حاسدٍ ... وما صبحها إلا بياض مشيب

* * *

أطَلَّ علىَّ الموت من خلل الضنا[1] ... فآنست وجه الموت غير كئيب
ولو جسَّ أحشائى لخلت بنانه ... و إن هال أقواما بنان طبيب
فلا كان من عيش أرى فيه أمتى ... تُساس بكفَّىْ غاشم وغريب

(١) هو المرض الشديد

شكر على تقريظ

لما ألفت كتاب « الخيال فى الشعر العربى » أرسل إلى حضرة اللغوى الاستاذ الشيخ عبد القادر بن المبارك الجزائرى الدمشقى قصيدة قرظ بها الكتاب سنة ١٣٤٠ وهى :

لمحمد الخضر الحسين التونسى ... سامى كتاب خيال شعر مؤنس
يحوى فنون قوى المفكرة التى ... هى ربَّة المعنى الأغرّ الأنفس
طالعته فظننت أن قد ضمنى ... فى جَنة الشعراء أبهى مجلس
أسرى إليه بى الخيال ودأبه ... أن يقطع الفلوات غير معرّس(١)
فتمثَّلت لى ثروة الشعر التى ... هى سر إغناء الخيال المفلس
ورأيت أفلاكا كواكبها النهى ... ومقامها فوق الجوارى الكنس(٢)
وزمانها أسحار ليل مقمر ... فى الطيب أو آصال يوم مشمس
ونوابغ الشعراء فيها استعمروا ... وطنا بغير نبوغهم لم يحرس
لاذوا به من غلظة الأرض التى ... لولا مزاج بارد لم تويس
وهنالك « الخضر » اجتلى بخياله ... ما يجتلى الطيار فوق الأرؤس
فى جو شعر العرْب حلّق راسماً ... أسمى عروس شعور تلك الأنفس
وعلى اتّساع خيالهم وسموّه ... لم يبق فى آفاقه من حندس(٣)
فبدا خيال الشعر لى ببيانه ... كالجسم موصوفاً برأى مهندس
بل كاد من روح البيان يقول لى ... أنا جوهر فانظر إلىّ أو المس
يسلو الاديب على نزاهته به ... عن مطربيه وعن شموس الاكؤس

---

(١) من التعريس ، وهو نزول المسافر آخر الليل للاستراحة

(٢) يريد الكواكب تجرى فى أفلاكها وتكنس أى تختفى فى مغيبها كما يكنس الوحش فى كناسه ، وهو مأواه وكنه

(٣) الحندس : الظلمة

ويكاد يغريه انسجام حديثه ... بالزهد فى إستبرق أو سندس
وكأن كل صحيفة من صحفه ... ضمت غذاء الروح للمتلمس
صفحاته تسعون لذ سميرُها ... فيها مسامرة الخيال الكيس
لم أنتقد إلا على خطإ جرى ... فى طبعه وخلوه من فهرس
فليحى رب يراعة فى شرعها(١) ... حتى الخيال حقوقه لم تبخس
دهر يجود به لعمرى محسن ... فعلام يوصم بالبخيل وبالمُسى

فأجبته عنها بالقصيدة الآتية :

يارُبى ترفل فى حسن وطيب ... والصَبا تخفق بالغصن الرطيب
هاج ذكراك شذا الأنس الذى ... هب من أردان واديك الخصيب
هاج ذكرى زمنٍ يبسم فى ... جِلِّقَ الفيحاء بالثغر الشنيب(٢)
كيف أسلوه وفى القلب له ... شوق مهيار(٣) ليوم بالجريب(٤)
مُهْدِىَ الشعر الذى باكرَنا ... فى ضِفاف النيل بالبرد القشيب
أنت بحر اللغة الفصحى وكم ... جُدت بالمأنوس منها والغريب

---

(١) اليراعة : القلم ، وأصلها القصبة . أريد بها القلم إذ كان يتخذ من القصب
(٢) جلق : دمشق . الشنيب : الذى به شنب وهو رقة وبرد وعذوبة فى الأسنان
(٣) هو مهيار بن مرزويه الفارسى الكاتب الشاعر . كان مجوسيا فأسلم . ويقال إن إسلامه كان على يد الشريف الرضى ، وهو شيخه وعليه تخرج فى نظم الشعر ، وله ديوان شعر طبع فى دار الكتب المصرية . وكانت وفاته سنة ٤٢٨ . وله ترجمة فى ابن خلكان
(٤) تلميح إلى قول مهيار :

نظرة منك ويوم بالجريب ... حسب نفسى من زمانى وحبيبى

والجريب اسم موضع

فلماذا تنسج الأشعـــار من حَبَب الـكأس وأخلاق الأديب
صغت (عبد القادر) التقريظ فى طرز حسان[١] وإبداع حبيب[٢]
لم أجد صنعا ولا هزّت يدى قلما يبهر بالسحر العجيب
وبديـعُ السحر فى ودّ صفا وأراك الحسن فى وجه المعيب
خضتُ فى بحر خيال وأنا موجس خيفة تثريب[٣] الرقيب
إذ خيال الشعر من مرعى الفتى ويراعى ارتاده حالَ المشيب
راده[٤] فى سَحَر العمر وما سحرُ العمر للهْوٍ بنسيب
إنما عللتُ نفسا راعها ذلك البين[٥] بمرآه الـكئيب
وتأسَّيت بذى الجدّ الذى يَدْخل الحكمة من باب النسيب[٦]
أمحضُ[٧] الأستاذ شـكراً ساطعا بين صافى الود والشوق المذيب
وسلاما من بعيـد كلما عزَّ إلقاء سلامى من قريب

تمثال الأخلاء

حنانَيْـكَ ما التمثالُ باعث سلوة إذا غاب عن عين المحبّ حبيبُ
أُسيمُ به طَرفى لأُطفىء لَوْعةً فيزدادُ فى قلبى المَشُوقِ لهيب

---

(١) هو حسان بن ثابت (٢) هو حبيب بن أوس الطائى أبو تمام
(٣) موجس من أوجس الشىء : أحسه واضمره . التثريب : هو اللوم والتأنيب
(٤) راد الشىء : طلبه
(٥) البين يريد به مفارقة دمشق
(٦) هو التشبيب بالنساء وذكر الهوى والحب
(٧) يقال : محضه الود وأمحضه : أخلصه

الأخ الصديق

في أخيه السيد محمد المكى أيام كانا فى دمشق

دعتنى إلى وده فطنة يجيد بها إن سألتُ الجوابا
وما بين بُردَيه الأخ يؤانسنى إن فقدت الصحابا
أروم عتابا عليه وكم تفرّس ما رمته فأصابا
يهُب على وجهه خجل فيصفو ضميرى وأنسى العتابا

فى مجلس أدب بتونس

جرى فيه ذكر العاذل والرقيب

أيهنأ عيشى ويحلو الهوى ولى عاذل وعليكم رقيب
فياليت فى فم هذا الذى يمج الملام حصى لا يذوب
وفى عين ذاك الرقيب قذى يُلم بها ويحار الطبيب

فى الدَّين

قيلت سنة ١٣٦١

أتكسب خمسا وتنفق ستا ضللت لعمرى سبيل الأريب
هو الدَّين إن جئته فارتقب نهار الذليل وليل الكئيب
وطعم الهوان — وما ذقتُه —[١] أمرّ من الموت قبل المشيب

---

(١) ما أحلى هذا الاحتراس المنبىء عن الشمم والاباء

قطب رحى الحرب

حياتكَ مِرآةٌ وأنفسُ ما ترى ... حِسانٌ من العرفان والفكرُ خاطبُ

وما الفكرُ إلا الرأى تقدحُ زَندَه ... فتُبصِر ما أخفتْ عليك الغياهب

ورُبَّ امرئٍ ساواكَ بالرأى وانزوى[1] ... خُمولا وأنت المستشارُ المحارِب

بسطوةِ حزمٍ واحتدام[2] حماسةٍ ... تُزاحُ خُطوبٌ أو تتاح مآرب

يُدبّر شأنَ الحرب كلُّ من ارتدى ... بإقدام قَرْم[3] هذّبته التجارِب

وقطبُ رَحاها من يدبّرها وقد ... علاه من النَّقْعِ[4] المُثارِ سحائب



ما بين السطور

أطالعُ ما صاغَ البليغ فأقتنى ... لآلىءَ لا أُحصى لهنَّ حسابا

وطالعَه زيدٌ وعاد يقول لم ... أجدْ منه بحراً بل وجدتُ سَرابا

فلم يَرَ زيدٌ غير ما فى سطوره ... وأبصرتُ من بين السطور كتابا

وأنكدُ ما فى العيشِ صُحبةُ من يَرَى ... اللُّباب قُشوراً والقُشورَ لُبابا



---

(١) صار فى زاوية من أركان البيت ... (٢) التهاب

(٣) الفحل والسيد ... (٤) الغبار

ثوب المذنب كَفَن

أيا من خاطَ لى ثَوْباً قشيبا   وقد مُلِئَتْ صحائفُ من ذنوبى
أتصنعه بـلا جيب ؛ وهـذا   يُعدّ لدى الرجال من العيُوب ؟
فقال : ألست فى الموتى ، ومن ذا   رأى الأكفان تصنع بالجيوب ؟

تقلب الزمان

لا تَغْلُ فى مَرَح[1] إذا بَسَمَ الزمانُ ورحَّبا
وتلقّه بتجـلُّدٍ مهما جفاكَ وقطَّبا
هو إن تَصِفْهُ مُشَبِّهاً : كالمنجنون[2] تَقَلُّبا

(١) المرح : شدة الفرح
(٢) المنجنون : الدولاب يستقى عليه

اهابة

قيلت بتونس فى التذكير باعانة بعثة الهلال الاحمر التركية التى مرت بتونس إلى طرابلس أيام الحرب الايطالية سنة ١٣٢٨

رُدُّوا على مجدنا الذكرَ الذى ذهبا ... يكفى مضاجعَنا نوم دها حقبا

ولا تعودُ إلى شعب مجادتُه ... إلا إذا غامرت هماتُه الشهبا

حياكُمُ اللهُ قومى إنَّ خيلكم ... قد ضُمّرت والسباق اليوم قد وجبا

هل جاءكم من حديث القوم[1] اذ هجروا ... ديارَ من ألفوا والوادىَ الخصبا

لبُّوا نداء الضمير الحر واقتحموا ... لُجَّ الخِضَمّ الذى لاقوا به نَصَبا[2]

خاضوا مَلاحمَ جيش فى طرابلس ... ليصرفوا الهمَّ عن جرحاه والوَصبا

وأحمدُ الناس سعيا من يمدُّ إلى ... إسعاف جيرته يومَ الوغى سَببا

هذا السبيلُ جديرٌ أن نجود له ... بالمال كلٌّ على مقدار ما كسبا

لا خير فى أمة شحَّت وما بسطت ... أكفَّها بعطايا تكشف النوبا

والنفسُ إن جمحتْ نكبحْ شراستها ... بمحكم القول حتى تُدركَ الأدبا

فليبسط الكفَّ من كانت عواطفه ... مثلَ النسيم إذا ناجاه زَهرُ رُبا

وليُحْجم الطرفَ من يحدو به سَرَفٌ ... وليصحُ من سكره من يعشق الذهبا

---

(١) بعثة الهلال الأحمر التركية

(٢) أخذتهم إيطاليا من باخرة فرنسية بالبحر الأبيض ، وافتكتهم فرنسا من يدها

تلك الممالك ترنو حولنا لترى نوال تونس ثمداً كان أم عببا[١]

وتلك أقلامُ أرباب الفصاحة قد هبَّت لتلقىَ فى تمجيدكم خطبا

وفوق هــذا جزاء لا نَفادَ له والله أكرمُ من جازىٰ ومن وَهبا

---

(١) الثمـد : الماء القليل . والعبب : المياه المتدفقة

حرف التاء

تقريظ

قيلت في تقريظ « السعيديات »
ديوان الشاعر التونسي السعيد أبي بكر

« أبا بكر » نظمتَ وما مَدحتا فهأنذا أقرِّظُ ما نظمتا
وما التقريظ إلا الشكر يُهدى على ما صُغتَ من أدب وصنتا
ولستُ أقول[1] ذا درٌّ نَضِيد[2] لأنكَ ما التقطتَ ولا نَضدتا
ولستُ أقول ذا زهر أنيق[3] لأنك ما غرست ولا قطفتا
ولستُ أقول راحٌ في زجاج[4] لأنك ما عصرت ولا سبكتا
وقد لهجوا[5] بقولهمُ « بديع » « بليغ » « فائق » حتى سئمتا

* * *

« أبا بكر » أرى شعراً عبوسا فأذكر سَيف بِشْر والسبنتي[6]

(١) نفى عن الشعر المقرظ أنه در وزهر وراح على سبيل الحقيقة ، وقد خالف الشاعر ما ألف الناس نعت الشعر به من هذه المبالغات ، وهو ضرب من الاستطراف

(٢) أي منظوم ويقال : نضد متاعه أي جعل بعضه فوق بعض

(٣) أنيق : حسن معجب

(٤) الراح : من أسماء الخمر

(٥) لهج بالشيء : أولع به

(٦) تلميح إلى قصة بشر بن عوانه التي ذكرها بديع الزمان الهمذاني في =

وأقرأ تارة شعراً رصينـــا أتنحِتُه من الجوزاء نحتا

تجاهـــد فى سبيل يبتغيها غريبٌ غاشم عِوَجا وأمْتا[١]

تـــكافحه وقد ُطفحت يداه بعسف يمـــلأ الأفواه صمتا

وليس الشعر بالصمصام يلوى ذراعى من يصبّ الهون بحتـــا

بل الشعر الحكيم ثقاف سُمْر[٢] تسميها القـــلوب إذا نطقتا

شعور فائتـــلاف فاتحـــاد فعزم يسحت الارهاق سحتا[٣]

* * *

« أبا بـــكر » أعيذك من خيال يروغ عن الهـــدى ويحوك بيتا

وفى الشعراء من ضاقت خطاه وفاتته الحقـــائق وهى شتى

فراح يَخـــالُ لهوَ القول جِدّا وينفثُ فى مكان الرشد بهتا

وشعر العرب ذو نظم ، فرفقـــاً بها إن شئت رفقا واستطعتا

لعلَّ الذوق لا يســـلو نظاما تزحزح عنه بعض القول بغْتا

= مقامته البشرية . وفيها أن بشراً نازل الأسد وصرعه بسيفه ، وقطعه وكتب بدمه إلى ابنة عمه فاطمة التى يهواها على قميصه قصيدة يقول فيها :

أفاطم لو شهدت ببطن خبت وقـد لاقى الهزبر أخاك بشرا

وقد وصف فيهـا حسامه فأحسن . ومن الغنىّ عن القول أن هذه القصة من نسج خيال البديع . والسبنتى : هو الأسد ، وهو المذكور فى قصة بشر

(١) الأمت : أن يغلظ مكان ويرتفع مـكان . وذلك كناية عن الاعوجاج وتجنب الاستقامة . ويريد بالغريب الغاشم : المتغلبين من الفرنسيين على تونس

(٢) الثقاف : مايسوَّى به الرمح ويقوم . والسُّمْر : الرماح ، يقال قناة سمراء

(٣) أى يستأصله

وكان قريضُ « تونس » فى صفاء   وإبداعٍ يضاهى الشهبَ نعتا
فـلاقى من صروف الدهر عسفا   فنضَّب ماؤه (١) واغـبر نبتا
أيزهى بلبلٌ فى كف طفل   يُعَضّ (٢) البلبلَ الغرِّيدَ مقتا
وما هو كالطليق يميس تيهـا   ويشدو فوق أُملودٍ (٣) تمتَّى (٤)

* * *

« أبا بـكر » أخذتَ تعيد مجدا   هوى فابغ الأناةَ إليه سمتا (٥)
وخلِّ البخت يسعى للكسالى   وسِمِّ الحزم والاقـدام بختا

« كيف ألقى النعيم ان أنا مت »

رمتُ أن أفقه الحياةَ وأدرى   كيف ألقى النعيم إن أنا متُّ
قيل : فى الغرب كلُّ سرٍّ تجلى   ببيـان وكلُّ صُلْب يُفت
هات يا مُسْعِدُ الحقيبـةَ إنى   قد عزمتُ الرحيلَ والعزمُ صَلت
خض بنا رائدَ (٦) السفينة بحرا   ساد فى متنه هـدوٌّ وصمت
لا أهاب الخطوب يوما ولـكن   خفت أن يسبق الهداية موت

---

(١) نضب الماء : غار
(٢) أى يحزنه ويبالغ فى أذاه
(٣) يريد غصناً ناعماً لينا
(٤) أى امتد وطال . وأصله تمتت فأبدل من أحد الأمثال حرف علة تجنبا لتكرار الحرف
(٥) أى طريقا
(٦) هو منادى على حذف الأداة

فحمدنا السرى غداة هبطنا بلدا عاش فى رباه « دِكَرْتُ »[١]
وقضيتُ السنين مستقصيا فى كل درس ماقال رسطو و« كنت »[٢]
ودعونى الدكتورَ بل منحونى لقبَ الفيلسوف لمَّا نبغت
عدت للشرق والحقائبُ ملأى بطروس أودعتها ما درست
فأنا الفيلسوف ، لكننى لم أحظ فى الغرب باليقين فتهت
رُبَّ رأىٍ نصيبه إن أنا أبـ ديه بين الهداة نبذٌ ومقت

* * *

يا طبيبَ القلوب ما طبُّ قُرح هو ريب يغشى القلوب ويعتو
يُغبط المرء إن يكن بين جنبيـ ـه رواح[٣] وفى محيّاه سمت
قال : فى كل آية من كتاب الا ـه للحكمة البليغة بيت
هأنذا أتلو الكتابَ فألقى فيه روح اليقين أنى تلوت
لو تدبرت آيه الغرَّ من قبـ ـل لقا فيلسوفهم ما ضللت

تفرق الشعب اثر موته

قالوا يصيب الشعبَ صدعُ تفرق فيذوق من بعد الشقاق مماتا
قلنا : يموت الشعب موت جهالة فيصير من بعد الممات فُتاتا

---

(١) ديكارت فيلسوف فرنسى ، من مؤسسى الفلسفة الحديثة . وهو صاحب الأصل المشهور « لكى تدرك الحقيقة يجب أن تطرح كل رأى لك سلف وتبحث المسألة من جديد » . وكانت وفاته فى استكهلم سنة ١٦٥٠ م

(٢) من أشهر فلاسفة الألمان ، وله كتب فى الفلسفة تعد من أصولها ككتاب « نقد العقل الخالص » وتدرج عن الشك إلى اليقين بوجود الله وخلود الروح وكانت وفاته سنة ١٨٠٤ م . عن معجم لاروس

(٣) الرواح وجدانك السرور الحادث من اليقين

تحايا الود

بعث حضرة الاديب الاستاذ السيد محمد المأمون النيفر إلى صاحب هذا الديوان بقصيدة تنم عن عاطفة أدبية رقيقة قال فى مطلعها :

أزفُّ تحايا الودِّ والبركاتِ وأهدى سلاما عاطرَ النفحاتِ
وأرسل طاقات الثناء جميلة منضدة الأوراد والزهرات
إلى عالم أخباره ذاع صيتها وآثاره أضحت حديثَ رواة
بصير بأدواء النفوس طبيبها اذا ما رماه حادث بشكاة[1]

وقال :

وهذه[2] أجزاء (الهداية)[3] بيننا تدل على الابداع فى النظرات
مثابة تحقيق ، ومهبط حكمة وعنوان تدقيق ونبع عظات
وروضة حسن قد تفتَّق زهرها وفاح فأحيا لى ربيع حياتى

ثم قال فى خاتمتها :

جزاكَ إلهُ العرش أفضل ما جزى به ناصحاً عن نافع الخدمات
ولا برح اللطف الخفى يحفكم وأنتم لدين الله خير حماة

وردت هذه القصيدة فنبهت من صاحب الديوان داعية النظم فكتب فى مراسلة السيد المأمون الأبيات الآتية :

أهذى تحايا الود والبركات أم الروض يهدى أطيب النفحات

---

(١) هى الشكوى (٢) باختلاس كسر الهاء دون مد
(٣) مجلة الهداية الاسلامية

وهـــذا رقيم لو بدوت[١] نخلته وقد جاد بالإيناس لحظ مهـــاة

أجَلْ هو شعر يحمل الأنس من ربى بلادٍ بهـا قضَّيت صدر حياتى

ذكرتُ ربى المرسى[٢] الأنيقة والصبا تذيع شذا أزهارها البهجـات

وسامرَ آداب حسان كأنه مراتع ما بالقاع من ظبيات

وروضة علـم كنت أجنى ثمارها وأرشف منها أعذب اللهجات

فيا مذكرى عهداً طوته يد النوى وأذكت له فى مهجتى حسرات

أحييك من مصرٍ تحية والد تبرّ به الآصالَ والغُدوات

بعثتَ بشعر طارف لمعت به من الأدب الموروث خير سمات

أراك ظالمت الغيد[٣] إذ صغت لوٌلوٌا ونضدته شعراً على صفحات

وأهديت طاقات الثنـاء وليتنى ملأت يدى من تلكم الحسنات

فيا أسفا لم أقض حق العلا وما بلغت من العرفان شأو لداتى[٤]

وآنست فى روح الخطاب سنا الهدى وبعضُ بنى الأمجاد غير هداة[٥]

وما أبصرت عيناى أجمل من فتى يخاف مقام الله فى الخـلوات

ولا خـير إلا فى نفوس ترشفت لبان التقى من حكمة وعظات

فأحمد منك الود والقلم الذى جنى لىَ طاقات من الدعوات

ولا زلت مثل الغصن ينمو بمنبت كريم فيؤ تِى أطيب الثمرات

---

(١) أى كنت فى البادية ، ويقال : بَدوت : خرجت إلى البادية

(٢) المرْسى بلدة نزِهة من ضواحى تونس ، يقيم بها عظيم البلاد « الباى » ، وبهـا قصره .

(٣) جميع غيداء وهى المرأة الناعمة المتثنية

(٤) الشأو الغاية والأمد . اللدات جمع لِدَة وهو تِرْب الرجل ومن فى سنّه وولد معه (٥) جمع هاد وهو وصف من هَدى بمعنى اهتدى

الايمان روح السعادة

قيلت فى مستشفى الدمرداش

رمضان ١٣٦٥

وردتَ مناهل العرفان طِفلا ... وواصلتَ العشية بالغداة

فأفنيت السنين بجيل فكرا ... وتكشف عن وجوه المعضلات

علام أراك تحذو حذو غُمْرٍ (١) ... فتزهَد فى التجلد والأناة

تكاد تغوص فى جزع إذا ما ... عراك ضناً وتلهج بالشكاة

ولا فخر لغير فتى يضاهى ... بصارم عزمه صدر القناة

أما استوقدت من علم يقينا ... يهون به لقاء النائبات

يقين إن طويت عليه صدرا ... قبضت على السعادة فى الحياة

يروِّح عنك إذ يشتد خطب ... وما أقسى الخطوب على الطغاة

هو النور الذى يذكيه وحى ... ويربو من خشوعك فى الصلاة

* * *

الضجر من كثرة الاسفار

قيلت فى دمشق سنة ١٣٣٨

أنا كأس الكريم والأرض ناد ... والمطايا تطوف بى كالسقاة

كم كئوس هوت إلى الأرض صرعى ... بين كف تديرها واللَّهاة

فاسمحى ياحياة بى لبخيل ... جفن ساقيه طافح بسُبات

* * *

(١) الغُمْر هو الغِر الذى لم يجرب الامور

خواطر مريض

قيلت على فراش المرض

سنة ١٣٥٠

أرق وهل يبغى القريح سوى السبات   والقلب خفاق كقادمة القطاة (١)

لا ترهقينى يا حياة ضنا أما   يكفى خطوب كالأسنة فى اللهاة (٢)

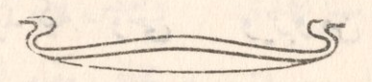
ما أنت ملقية بسَلْمٍ أقْتنى   فى ظله الضافى مفاخر رائعات

* * *

وإذا طغى سقم ليسلمنى إلى   بطن الثرى أيقظت أجفان الأساة (٣)

إن كنت مرقاة الفلاح لأمة   ضربت بسطوتها على أيدى البغاة

فالموت مرقاة الهناءة يوم لا   يجد الأسارى من فداء أو حماة



سُوسَة العمر

وغلامٍ قرَّب « الساعة » من   أذْنه يسمع منها النَّقَرات

قال : ما فى جوفها ؟ قلت له :   سوسة تقرض أيام حياتى

---

(١) القطا طائر كالحمام ، وقادمته واحدة القوادم وهى ريشات فى مقدم الجناح

(٢) اللهاة اللحمة المشرفة على الحلق

(٣) جمع الآسى وهو الطبيب

معنى تضمنه بعض أزجال البدو

فى تونس

قيلت فى تونس عندما أنشد هذا الزجل وهو :

جاتْ ظاهرَه نادوا عليها ولِّى وابرق خَدْها قام الامام يصلّى

خطرت فلاح جبينهـــا والنـــاسُ غرقىً فى سُبات

غر الإمام فخـــاله فجراً وأحرم بالصلاة

بعد وفاة أحمد تيمور باشا

تقاسم قلبى صاحبان وددت لو تملتهما عيناى طول حياتى

وعللت نفسى بالمنى فاذا النوى تعُلُّ(١) الحشا طعناً بغير قناة

فأحمد فى مصر قضى(٢) ومحمد(٣) بتونس لا تحظى به لحظاتى

أعيش وملء الصدر وحشة مترف رمته يد الأقدار فى فلوات

رقة الطبع تزيد المودة صفاء

جفا الصديق فناجيت الفؤاد بأن يبيت فى جفوة تلقاء جفوته

أبى وقال أصون العهد متئداً فرُبَّ ودّ صفا من بعد غُبرته

عاد الصديق فأصفى وده فإذا حديث نجواى منسوخ(٤) برمته

إن تلق طبعاً رقيقا فاغرِسَنَّ به مودة يسقها من ماء رقته

---

(١) أى تطعنه مرة بعد الاخرى . من عله : سقاه الشربة الثانية

(٢) أحمد تيمور باشا . قضى : مات (٣) الشيخ محمد الطاهر بن عاشور

(٤) منسوخ مزال . يقال نسخت الشمس الظل أى أزالته

حرف الثاء

الانتصاف لعلم الشريعة

قيلت بمناسبة تقليل بعض الجهال من
شأن علوم الشريعة فى مجلس سنة ١٣٤١

أغاظ الحسودَ الخبَّ أن بتُّ مقبلا
بفكرىَ على علم بديع المباحث
وأوجس خوفا أن أزيد به عُلا
وذاك لدى الحسّاد إحدى الكوارث
فغض من العلم الذى خضت بحره
ولقَّب من يرتاده باسم عابث
يحاول كيداً أن يثبِّط همّة
تسامت فكان الكيد بعض البواعث
فعاد وما فى كفه غيرُ خيبة
كما أخفقت فى الحج آمال رافث (١)

* * *

(١) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ﴾

حرف الجيم

الرأى النضيج

يَهبُ المزنُ فى الغداة جُمانا[1] من ندًى للزهور ذات الأريج
وتُرينا شمسُ الضحى لؤلؤاً من عَرق الغيد فوق خدٍّ بهيج
أهما علَّما الحجا كيف يلقى فى القراطيس دُرَّ رأى نضيج

زهرة الدنيا أخلائى

قالها فى مصر
عقب وداع بعض أصدقائه من تونس

يومُ بَينٍ لم أذُق من قبله لوعةً كالنار حرًّا وهِياجا
ودَّعوا ، والصبحُ يحدو بالدجى حاملا من بين جنبيه سراجا
وامتطوا سابحةً[2] فى الجوّ لا لقيت من أختها الريح لجاجا
جِيرة أصفيتهم ودِّى ولا يجد المَذْق[3] من الود رواجا
قابلوا ودّى بودّ وبنَوا من حفاظ الود للعهد سياجا
لا أبالى إن أنا جاورتهم أفُراتا[4] كان وِرْدى أم أُجاجا
زهرة الدنيا أَخـــلاَّئى ولو شفنى البين وأعيانى علاجا

---

(١) هو اللؤلؤ
(٢) يريد « الطيارة »
(٣) هو فى الأصل اللبن المخلوط ، يريد الود غير المخلص
(٤) هو العذب ، والأجاج المِلح

لم أكن بمداج

قالها وهو فى مستشفى فؤاد الأول بالقاهرة
فى ربيع الآخر عام ١٣٦٨

هو ذا الضَّنىٰ أى جارتى ينقضُ من — بين الجوانح فى أشدِّ هيـاج
يدلى الطبيب مع الطبيب الى الحشا — سمّاعةً تصف انحرافَ مزاجى
فاجاهُمُ نَفَسٌ بما أشكوه من — وجع وأنفاسُ العليل تناجى
يتهامَسون بلهجـة لم أدرها — فإخالهم همسوا بعسر علاجى
فلتذكرينى — إن قضيتُ — بأننى — أرعى العشيرَ ولم أكن بمداجى

* * *

الشتاء والربيع

يعيد الشتاء الحىَّ ميتا ، ألا ترى
به الروض فى كفن من الثلج مُدْرَجا
وترجع أيامُ الربيـــع حيـاته
وتكسوه بُردا بالزهور مدبَّجـا

حرف الحاء

تهنئة بالقضاء

قيلت فى دمشق لتهنئة صديقه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور
عند ولاية القضاء بتونس سنة ١٣٣٢

بسط الهناء على القلوب جَناحا فأعاد مُسودَّ الحيـاة صباحا
إيه[(١)] مُحيّيا الدهر إنك مؤنس ما افترَّ[(٢)] ثغرُك باسما وضاحا
ونعدُّ ما أوحشتنا فى غابر خالا بوجنتك المضيئة لاحا
لولا سوادُ الليل ما ابتهج الفتى إن آنس المصباحَ والاصباحا

ومنها :

ياطاهرَ الهمم احتمتْ بك خُطَّة[(٣)] تبغى هدًى ومروءةً وسماحا
سحبت رداءَ الفخر واثقة بما لك من فؤاد يعشق الإصلاحا
ستشد بالحزم الحكيم إزارها والحزم أنفس ما يكون وشاحا
وتذود بالعدل القذَى عن حوضها والعدلُ أقوىٰ ما يكون سلاحا[(٤)]
فى الناس من ألقىٰ قلادتها إلى خَلَف فحرَّم ما ابتغىٰ وأباحا
فأدر قضاياها بفكرك إنه فكرٌ يرد من العويص جماحا

---

(١) إيه كلمة استزادة من الحديث
(٢) أى تلألا وأشرق بالضحك
(٣) الخُطة : الامر والطريقة ، ويطلقها أهل الاندلس على المنصب من مناصب الدولة ، فيقال خطة القضاء وخطة الحجابة
(٤) تذود : تدفع . القذى : ما يقع فى العين والشراب

ومنها :

أنسىٰ ولا أنسىٰ إخاءك إذ رمى صرفُ[1] الليالى بالنوىٰ أشباحا[2]

أسلو ولا أسلو علاك ولو أتت لبنانُ تهدي نرجسا فيّاحا

أوَ لم نكن كالفرقدَين تقارنا[3] والصفو يملأ بيننا أقداحا

* * *

يبغى الورد عذبا

قيلت على شاطىء البحر بالاسكندرية
سنة ١٣٦١

حمام غرّه بحر خِضَمّ تُلاعب موجه الحيتانُ سَبْحا

يحوم عليه يحسبه زُلالا[4] ولما ذاقه ألفاه ملحا

فطار السربُ يبغى الورد عذبا ولو رشحتْ به البيداء رشحا

فصن قدميك عن وِرد وبيل وقل للنفس إن عافته : مَرحى[5]

ومن يظفر بوِرد مستطاب فوِردى آسنٌ غَسَقا وصبحا

وكيف يطيب لى عيش وأرضِى يهز بها العدا سيفا ورمحا

---

(١) صرْف الليالى : نوائبها

(٢) يريد أن النوى صادفت منهم أشباحا لا روح فيها

(٣) الفرقدان : نجمان يهتدى بهما

(٤) يقال : ماء زُلال أى بارد عذب

(٥) كلمة استحسان ورضا

عتاب على مزاح

قالها فى مصر سنة ١٣٦٢ عندما قال بعض الجالسين
كلمة نابية عن أدب الدين على وجه المزاح

بُنَىَّ ألم ترشف أفاوِيقَ حكمة[١] — كما رشفت قطرَ الندى زهرةُ الدَّوح
ومثلك لا تلويه داعية الهوى — عن السيرة الغرّاء والخُلق السَّمح
أعيذك بالفرقان أن تحكىَ امرءاً — يغض من الدين الحنيفىِّ بالمزح
وتصغى الى نجوى الذى يركب الخنا — ويأخذ أهل الشرع بالطعن والقدح
بلونا الهدى بعد الهوى فاذا الهوى — دُجُنَّةُ ليل[٢] والهدى فلق الصبح

رفقا بها

قالها فى تونس ، بعد درس تعرض فيه أستاذه
الشيخ سالم أبو حاجب الى حكم التضحية بالظباء

مدَّ فى وَجْرَةَ[٣] الحبالة يبغى — قنصاً والظباء ترتع مَرْحى[٤]
صادها ظبيةً وهمّ بأن يص — رعها كالخروف فى عيد أضحى
قلت : رفقا بها ولا ترهقنها — وهى ترنو اليك صرعاً وذبحا

(١) الافاويق : جمع الافواق ، وهو جمع الفِيقة ، وهو ما يجتمع من اللبن فى الضرع بين الحلبتين . والكلام على التشبيه

(٢) الدجنة : الظلمة

(٣) مكان بين مكة والبصرة لا يخلو من شجر ومرعى ومياه ، والوحش فيها كثير

(٤) جمع مرح

ما أظن السكين ترضى وفيها حدَّةٌ أن تخطَّ فى الجيد جرحا
خلِّ عنها ، فعينها أذكرتنا عين أسماء وهى بالبِشْر طفحى[١]

اغاثة قطاة

قطاةٌ غدت تطوى الفلاةَ خميصة[٢] الى روضة طابت وطاب صباحها
رعت كلأ رطبا ، حست ماءَ مُزْنة ربا بين أحناء الضلوع ارتياحها[٣]
وعادت تشق الجوَّ وهى تطلُّ من عُلاها على بيداء لانت رياحها
رمى النابلُ الختَّال منها قوادماً ولم يدر رامى النبل أين مطاحها[٤]
ألَمَّ بها همُّ اغتراب وآذنت ذُكاء[٥] بترحال فطال نواحها
ومرَّ بها سِربٌ من الأنس طائر فصاحت وقد اجدى عليها صياحها[٦]
أناشدكم مَن ذا يعير جَناحَه مطوَّحةً[٧] فى القفر قُدَّ جناحها
أطير الى زُغب الحواصل إنها خِماصٌ وأخشى أن يحين اجتياحها[٨]

---

(١) ملأى (٢) الخميصة : الجائعة
(٣) ربا : زاد ونما . الارتياح : النشاط وطيب النفس فى العمل
(٤) النابل : صاحب النبل ، والقوادم : ريشات فى مقدم جناح الطائر .
ومطاحها : مسقطها من طاح أى سقط
(٥) ذكاء : الشمس
(٦) صاحت : نادت ، وأجدى عليها : كفاها
(٧) مطوَّحة : مقذوفة ، من طوحته الطوائح أى قذفته القذائف
(٨) زغب : جمع أزغب ، صفة من الزَّغب ، وهو أول ما ينبعث من الريش أو الشعر . والحواصل : جمع حوصلة وهى للطائر كالمعدة للانسان . والاجتياح : الإهلاك

ولا تذكروا الصب الذى استمنح القطا جَناحاً[١] فأنذالُ الطيور شِحاحها
فمدَّ اليهـا السِّربُ راحــةَ مُسعد وطار بهـا حتى حَماها مراحها[٢]

* * *

الرجاء أساس كل نجاح

سَحَب الفتى البدوىُّ ذيلَ مِراح يُزهَى بسَرح فى فَلاً ومَراح
ألفَ البطولة والسماحَ فماله شغفٌ بغـير بطولة وسمـاح
البدو فيما كنت أدرى الفضل فى نشء النفوس على مثال صلاح
لا راحَ غير عصير مُزْنٍ رائق لا نایَ[٣] غير البلبل الصداح
لا تخطر الفتيات فيه بزينة وتَبَرُّج بين البيوت وقاح
مُنَى الفتى بقرين سوء يرتدى ثوبَ الفصيح بغدوة ورواح
مازال يستهويه حتى انحط فى أرض الحضـارة بالهوىٰ المِلْحاح
قاد النجـائبَ والحقائبُ ملؤها ذهب : دنانير ، وحلىُ ملاح
ألقى بمصرٍ رحله اذ أدبرت شمس الأصيل بوجهها اللماح
بهرت لواحظَه المصـابيحُ التى تغنى إضاءتها عن الإصباح
وبدائعٌ خرجت بطول حسابها عن طاقة الايمـاء والإفصاح

---

(١) يشير إلى بيت القائل :
أسرب القطا هل من يعير جناحه لعلى إلى من قد هويت أطير
(٢) المراح : المأوى
(٣) النای : آلة طرب

واحتلَّ صرحا شامخا وحديقة حليت بزهر بنفسج وأقاحى

لم يدر أهلُ النبل أين مزاره ودراه أهلُ بطالة وطلاح

فتهافتوا يتصيَّدون فؤاده بتملق وخَلابة ومزاح

واستدرجوه الى مَلاهٍ لم يعد من بعد نشوتها لسيرة صاحى

صرفوه عن وجه الرشاد ، فتاه فى واد من اللهو الأثيم بَراح

ركب الهوىٰ طلقا ، وأصبح سيرُه هدفا لرمية مزدرٍ أو لاحى

فسلوا به الخمرَ العجوزَ فانها أدرى بشأن مُقبِّل الأقداح

وسلوا مَلاعب مَيْسِرٍ أذْرَى بها بِدَرا وعاد بخيبة وجُناح

ظل الفتى فى سكرة وثَراؤه ينهار بين مَزاهر وقِداح

حتى تبدّد تبره ولُجَينه ككثيب رمل فى مهبّ رياح

وانفضَّ من حول الفقير رفاقُه وجَزَوْه عن إقباله بطاح

لا درهمٌ يغنيه من جوع ولا إلف يخفف لوعة الأتراح

كالطير يُنسل ريشُه أفيرتجى للطير أن يحيى بغير جَناح

ضاقت عليه الأرضُ ، والأجساد فى نظر الكئيب مقابر الأرواح

يتخيل الظلماءَ ثوبَ مآتم وأغانىَ المذياع صوتَ نياح

كاد التشاؤم بالحياة يذيقه طعم الردى بغراره السفَّاح

لولا شعورٌ من بقايا فطرة لهَوى كما يهوى صريعُ رماح

هى همسة من فطرة الله الذي جعل الرجاء أساس كل نجاح

جناحان

حجا فى غمار المعضلات سَبوحُ وعزمٌ الى أسنى المعالى طَموحُ

جَناحان لا تُرقى بغيرهما العلا ومن دون مرماها مَهامِهُ فيحُ (١)

وما أسوأ العقبى اذا ساس أمةً على الرّغم مخلوعُ العذار جموح

اذا ولت الأحكام خابط عشرة حكى كيف يهذى فى القضاء سطيح (٢)

ويحسب ما لا شىء حيًّا ولم يكن لما خاله فى الناس جسمٌ ولا روح

وفى الشر ماينُدسّ تحت ظِهارة من الخير لا لونٌ ينمّ ولا ريح

يحوك الخطيب الخَبُّ قولا صِباغه أنيقٌ وما تحت الصِّباغ قبيح

ويصفو رُوَاء الماء والطعمُ علقم ويبسم ثَغرٌ والفؤادُ قريح

وما كل ذى رأى يدارى حقيقة توارت فتبدو والقناع طريح

ومن ذا يعانى الصعب لولا رجاء أن يَطيب غبوقٌ بعده وصَبوح

ضريحُ (٣) أبىِّ الضيم صرحٌ ممرّدٌ (٤) وصَرحُ الهيوب (٥) المستضام ضريح

أخو الضيم فى الدنيا هو الميتُ فانعِه وان تره يغدو بها ويروح

لكل امرئٍ شأن ، سلوا فيلسوفَهم أنيطت بهاتيك الشئون شروح ؟

فمن ساحبٍ ذيلَ المراح ولو سطا به مستبدٌّ يعتدى ويبوح

سميعٌ اذا طنَّ الذبابُ بدمْية أصمُّ اذا ألقى العِظاتِ نصوح

الى مطرق يرنو بعين مُقطّب يضيق عليه الأفقُ وهو فسيح

---

(١) واسعة (٢) كاهن

(٣) القبر (٤) مشيد

(٥) الجبان

شجىٌّ كأن القلب صُوِّر من أسىً ... وغذّاه من جفن المشوق سَفوح

يَصَمُّ اذا غنّاه إسحاق مطربا ... ويُصغِى الى الخنساء وهى تنوح

وأضيع رأى ما يلوح لُمحِجم ... ورأىُ أخى العزم الصميم نَجيحُ

أيجنى ثمارَ النخل بالكف مُقْعَدٌ ... وينهض فى يوم الرِّهان طليح ؟

نهضة مصر

قالها وهو يشهد استعراض الجيش المصرى
يوم ٢٨ المحرم عام ١٣٦٩

دمعةٌ كالثلج برداً مجَّها ... فى المآق فرطُ بِشرٍ وارتياح

إذ شهدنا عرض جيش من بنى ... مصر فى أسنىٰ عتاد وسلاح

وتلتها دمعةٌ صوَّر لى ... حرُّها أنفاسَ مكسور الجَناح

اذ ذكرتُ المغرب الغارق فى ... لُججٍ سُود من العَسْف الصُّراح

نهضتْ مصر الى المجد وما ... نهضت إلا بعزم وكفاح

أترى المغرب يوما ناهضا ... للعلا بين سيوف ورماح

بلغ السيل الزبى

اذا نُصبت بين الديار منابر ... تقوم عليها الغُربُ[1] وهى تصيح

تنادى لأسواق تموج خلاعة ... وشُرْطيُّها فى الرائدين مَروح[2]

فقد بلغ السَّيلُ الزبى[3] وأظلَّنا ... زمانٌ بما يُرضى الكرامَ شحيح

وأصبح طعمُ الموت حلواً ورِيحه ... كأنفاس زَهر بالرياض يفوح

---

(١) جمع غراب (٢) من المرح وهو شدة الفرح والنشاط

(٣) الزبى جمع زبيه وهى الرابيه لا يعلوها ماء

ما أضيع البرهان عند المعاند

تريد رفيقا لا يَرى غير ما تَرى ... ويأبى الذى تأباه وهو نصوح
وغـيرُكَ مشتاق الى صاحب له ... حجىً كسراج الكهرباء لَمُوح (١)
صديقكَ ثانى الساعدَيْن ورأيه ... لرأيكَ فى كل الأمور كفيح (٢)
وما الخلفُ فى الآراء بينكما سوى ... دليل على أن الوداد صريح
وما هو كالخُلف الذى يستثيره ... عنادٌ ورأى بالصواب لَقوح (٣)
ألا خليانى من حوار معاند ... يقول لسانُ الأعجمىّ فصيح
وما وَعْدُ عُرْقُوب بيَثْرِبَ مخلفا (٤) ... ولا ماء فى أرض العراق يَسيح
وطلعةُ ذى الوجهين وضّاحةُ السّنا ... وطائرُ من يلقى البسوسَ سَنيح (٥)
ويطرى التى تلهو وتُرجىء غزلَها ... الى أن ترى نجمَ الشتاء يلوح (٦)
أعندك برهانٌ يَرُوض مجادلا ... يميح مع الأهواء حيث تميح !

---

(١) من لمح أى لمع ، يقال لمح البرق والنجم اذا لمعا

(٢) كفيح : كفؤ

(٣) لقوح : منتج . ويقال ناقة لقوح أى كثيرة الدّر

(٤) اشارة الى البيت :

وعدت وكان الخلف منك سجية ... مواعيد عرقوب اخاه بيثربا

(٥) البسوس : امرأة يتشاءم بها ، يقال اشأم من البسوس . والسنيح : المبارك

(٦) تلميح إلى البيت :

اذا كوكب الخرقاء لاح بسحرة ... سهيل أذاعت غزلها فى القرائب

حرف الخاء

الشيوخ والفتيات

قالها فى مجلس بمصر عندما جرى
الحديث فى تزوج الشيوخ بالفتيات

لا ترجُ من غادة فتاة تبنى [١] عليها وأنت شيخ
ما كنت تلقاه من فتــاة وللشباب الغريض شرخ [٢]
فان تملَّيتها حَصَاناً [٣] وصادها من غناك فخ
فــدارها والفؤاد يحنو عطفا ويمنى يديك تسخو

---

(١) أى تتزوجها وتدخل بها

(٢) الغريض الطرى . وشرخ الشباب ريعانه

(٣) حصان : عفيفة

حرف الدال

فضل اللغة العربية

ألقيت فى حفلة افتتاح الدورة السادسة لمجمع اللغة العربية

شبيهان : الهلال إذا تهادى   وفكر بات يرتاد السدادا
بنات الفكر آبدة[1] ولولا   عنان القول لم تسلس قيادا
رعى الله الأديب يروم معنى   فيسعده البيان بما أرادا
أبجِّلُه ولو لم يأو ظلاً   بنى العيشُ الأنيق به وشادا
فهات السيف يخطر فى مضاء   وخلِّ الغمد عندك والنجادا[2]

✡ ✡ ✡

وينزع بى إلى الآداب وجد   إذا قلت اشتفى بالوصل زادا
فأنسى « معبداً وعريب » دهرا   ولا أنسى «البديع» ولا «العمادا»[3]

---

(١) أى وحشية نفور   (٢) النجاد حمائل السيف وعلاقته

(٣) معبد هو ابن وهب أبو عبّاد . من قدامى المجوّدين فى الغناء . وكانت وفاته فى عهد الوليد بن عبد الملك . وعريب مغنية مجيدة كانت فى زمن المأمون . والبديع هو البديع الهمذانى أحمد بن الحسين الاديب الألمعى . توفى سنة ٣٩٨ . والعماد هو العماد الكاتب الاصفهانى محمد بن محمد بن حامد المنشىء المشهور . له التآليف الممتعة ، منها خريدة القصر فى شعراء العصر . توفى سنة ٥٩٧ فى دمشق

وأسلو الروض والورقاء تشدو به والغيث حاك له بجادا[١]
ولا أسلو الطروس تدور فيها رحى البحث ابتكارا وانتقادا

✡✡✡

ولم أنض القريحة فى نسيب ولا عَذَلا شكوت ولا بعادا[٢]
فما أهوى سوى لغة سقاها قريش من براعتهم شهادا[٣]
أداروا من سلاستها رحيقا وهزوا من جزالتها صعادا[٤]
وطوّقها كتاب الله مجداً وزاد سنا بلاغتها اتقادا
تصيد بسحر منطقها قلوباً تحاذر كالجآذر أن تصادا[٥]
فَنَتْ حكما روائع لو أعارت سناها النار لم تلد الرمادا
سرت كالمزن يحيي كل أرض ويُبهجها وهاداً أو نجادا[٦]
وما للّهجة الفصحى فخار إذا لم تملأ الدنيا رشادا
وراع حِلى الفصاحة غيرَ عُرْب فحُشّوا من قرائحهم جيادا[٧]

---

(١) الورقاء الحمامة ، سميت بذلك للونها الوُرْقة ، وهى سواد فى بياض . والبجاد كساء مخطّط ، يريد ما نبت عن الغيث من العشب المختلف الالوان

(٢) لم أنض القريحة أى لم أجهدها من أنضى مطيته حمل عليها فى السير فهزلها

(٣) الشهادة جمع الشهْد ـ بضم الشين وفتحها ـ وهو العسل فى شمعه

(٤) الرحيق الخمر . والصّعاد جمع صَعدة وهى القناة المستوية ، يريد الرماح

(٥) الجآذر جمع الجُؤْذر وهو ولد البقرة الوحشية ، والجآذر من طبعها النفران

(٦) المزن السحاب ، والقطعة منه مُزْنة . والوِهاد جمع الوهد وهو ما انخفض من الارض ، والنّجاد جمع النجد ، وهو ما أشرف من الارض

(٧) الجياد جمع الجواد وهو الفرس أى حشّوا قرائحهم التى هى كالجياد

تخوض بيانهــا الفيّاض طلقاً وكانت قبله ترد الثمادا[١]
وكم ضاهى « ابن فارس » وهو يورى زناد الشعر وائل أو إيادا[٢]

✲ ✲ ✲

أتاها العلم يرسف فى كسادٍ وخطب العلم أن يلقى كسادا[٣]
فألفى من معاجمها عبابا غزير النبع لا يخشى نفادا[٤]
فأودعهــــا نفائسه وأضحى شعار العلم إعراباً وضادا[٥]
عذيرى من زمان ظل يجنى على الفصحى ليرهقها فسادا
حثى فى روضها الزاهى قتاماً وأنبت بين أزهُرها قتادا[٦]
ولولا أن هذا الذكر يتلى لرد بياض غرتها سوادا[٧]

✲ ✲ ✲

---

(١) الثماد جمع الثمد ـ بسكون الميم وفتحها ـ وهو الماء القليل ، لا مادة له

(٢) ابن فارس هو أحمد بن فارس القزوينى اللغوى . كان الصاحب بن عبّاد يتتلمذ له ، ويقول : شيخنا ممن رزق حسن التصنيف . مات سنة ٣٩٥ . ووائل وإياد قبيلتان تجمعان فضائل كثيرة

(٣) يرسُف يمشى مشى المقيد وخَطْب العلم أى آفة العلم ، والخَطْب الامر الشديد ينزل بالمرء . وخطوب الدهر صروفه وحوادثه

(٤) العُباب : معظم السيل وكثرته

(٥) خص الاعراب والضاد لان الاول ميزة اللسان العربى فى المركّبات ، والثانى ميزته فى المفردات

(٦) القتام الغبار ، والقتاد شجر له شوك

(٧) يريد بالذكر الكتاب العزيز

أجالت طرفها فى كل وادٍ فلم تر فى سوى مصر مَرادا[1]

فتلك معاهد العرفان تدنى إليهم خير ما يبغون زادا

وهذا مجمع يحمى تلادا ويبنى طارفاً يحكى التلادا

كأن عكاظ عاد بها اشتياق إلى الفصحى فكان لها معادا[2]

جرى ماء الحياة بوجنتيها فهنأنا اليراعة والمدادا

وقلنا للمنابر ذكِّرينا عليًّا حين يخطب أو زيادا[3]

فيالغة النبى سقاك عهد من الاصلاح ينتظم البلادا[4]

فما من حاجة للعلم إلا يقيم لها بحكمته سِدادا[5]

يصون هداية الله اعتزازا بها وأضاعها قوم عنادا

تراءى الزيغ ينفض مِذْرَوْيه ويمسح عن لواحظه رقادا[6]

ومن يصن الهدى ملئت يداه نجاحاً كلما استورى زنادا[7]

* * *

---

(١) مَرادا أى مكانا ترود فيه وتتردد وتضطرب

(٢) عكاظ سوق معروفة كانت فى الجاهلية . ومَعاداً أى مرجعا ، والضمير فى كان للمجمع

(٣) يريد بزياد زياداً ابن أبيه وكان من مصاقع الخطباء

(٤) ينتظم البلاد : يشملها ويعمُّها ، يقال رماه بسهم فانتظم ساقيه

(٥) السداد – بالكسر – ما تُسَدُّ به الخَلَّة والحاجة

(٦) المذروان : أطراف الالية . ويقال : جاء ينفض مذرويه أى باغيا متهدداً

(٧) الزناد جمع زَنْد ، وهو العود يقدح به النار . واستوراه : أخرج منه النار ، أى كلما حاول أن يظفر ببغيته

بكاء على مجد ضائع

قالها فى دمشق

حين وجد للدولة العثمانية شيئًا من الضعف ، ولقنصل فرنسا أمام قناصل الدول الأوربية شيئاً من النفوذ سنة ١٣٣٢

بين الجوانح همَّـــة تسمو إلى أمد بعيد
نهضت كما تبغى العلا والعزم كالسيف الفريد
أدمى فؤادى أن أرى الـ أقلام ترسُف فى قيود
وأرى سياسة أمتى فى قبضة الخَصم العنيد
فهجرتُ قوماً كنت فى أنظارهم بيت القصيد
وحسبت هذا الشرق لم يبرح على عهد الرشيد
يسع الجهود إذا تضا يقت البلاد على الجهود
ويقول يوم أبُثُّه بعض الأسى هل من مزيد ؟
فاذا المجال كأنه من ضِيقه خُلق الوليد (١)

✡ ✡

زجاجات المصور

قيلت فى برلين سنة ١٣٣٥

عذرتك إذ صورتَ فى نفسك الهدى ضلالا وصوَّرت الضلال رشادا
فان زجاجات المصور تقلب الـ سواد بياضاً والبياض سوادا

---

(١) الوليد الصبىّ : يضرب بخلقه المثل فى الضيق وسرعة الضجر والتبرم

رثاء وزير

من قصيدة قيلت فى رثاء الوزير الشيخ محمد العزيز أبو عتور سنة ١٣٢٥

كل امرىء برسول الموت موعود ... وكل أنس بذات البين محدود

فأحزم القوم من يعنو لخالقه ... وعزمه بعُرا الطاعات مشدود

فلم يثبطه عن فعل التقى ترف ... ومُورق من خصيب العيش أملود

ليس المدامة فى رأى الحكيم سوى ... مرارة قاءها فى الدّن عنقود

ومنها :

سينجلى اليومَ مالم يدره فئة ... بالأمس والزهد فى الأحياء معهود

والشمس لا يقدُر الرائى مزيتها ... إلا إذا غشيت أنوارَها السودُ(١)

* * *

الوفاء بعهد الصداقة

سأله بعض الأدباء : كيف كانت صلتكم بالشيخ محمد الطاهر بن عاشور فى تونس ؟ فأجاب بهذه الأبيات :

أحببته ملءَ الفؤاد وإنما ... أحببت من ملأ الودادُ فؤادَه

فظفِرتُ منه بصاحب إن يدْرِ ما ... أشكوه جافى ما شكوت رقاده

ودريت منه كما درى منى فتىً ... عرف الوفاء نجاده ووهاده

---

(١) السود أى الليالى أو الظلم السود

الصداقة والعزلة

أريد أخاً كالماء يجرى على الصَّفا نقيًّا فيصفو لى على القرب والبعد (١)

وأرسلت لحظ الفكر فى القوم ناقدا وأوصيته أن لا يبالغ فى النقد

فلا ضير فى ودّ تغاضيتَ فيه عن لواذع يأتيها الصديق بلا عمد

فعاد وكم لاقى لساناً مماذقا ومن خلفه قلبٌ خليٌّ من الود (٢)

ولولا ارتياحى للنضال عن الهدى لفتشت عن وادٍ أعيش به وحدى

* * *

خلوا عداتى

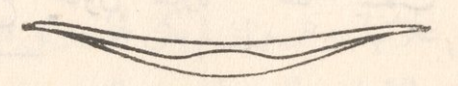
قيلت فى مصر

خلُّوا عداتى يملئون بخيلهم وبرجلهم أُكم الثرى ووهاده (٣)

لا همَّ فى الدنيا إذا ظفرت يدى بأخ عشقت ذكاءه ورشاده

أصفوا له أمد الحياة وإن رمى سمعى بقولٍ خادش ما اعتاده

لست المُقاطع إن جفا خلٌّ ولم يك قطع رابطة الوداد مراده



---

(١) الصفا : الحجر الصّلد

(٢) فعاد أى لحظ الفكر ، ومماذقا أى غير مخلِص الودّ

(٣) الأكم واحده أكمة وهى التل

الجرس

قالها فى برلين سنه ١٣٣٥ عقب زيارة المرحوم محمد بك فريد وإسماعيل بك لبيب

جرس يصيح لحاجب طلق اللسان معربد
حيناً ينوح كموجع من لطمة المتعمد(١)
والآن رنَّ كمِزْهرٍ جسَّته أنمل مَعْبَد
زار الصديق فهزَّه من بعد ضغطة جَلْمد(٢)
والود يسكن فى الحشا لكن يحس من اليد

الهدى والضلال

قيلت فى دمشق

كأن شعاع الشمس ينساب فى الثرى ويطوى بساطاً مدَّه الليل أسودا
سنًا حُجَّة يسطو على قلب جاحد فيأخذه بعد الضلال إلى الهدى

الرياء غش

صاغ النحاس مذهبا ليغُرَّ من يبغى حليا من صميم العسجد
كأخى هوى طاغ يحاول ستره عنا بسمت الناسك المتعبِّد

---

(١) يمثل الجرس الذى يدق للايذان بقدوم زائر بحاجب ، فإذا لمسه جافى الطبع ثقيل فكأنما لطمه وآذاه فأن وبكى ، وإذا لمسه صديق رفيق كان رنينه كصوت العيد

(٢) يريد بالجلمد الكزّ الغليظ من الزوّار

عواطف الصداقة

بعد هجرتى إلى دمشق سنة ١٣٣١ بعث إلى صديقى العلامة الأستاذ الشيخ السيد محمد الطاهر بن عاشور وهو قاضى القضاة بتونس رسالة مصدرة بالأبيات الآتية (١) :

بعـدتَ ونفسى فى لقـاك تصيد فلم يغن عنها فى الحنين قصيد

وخلَّفت ما بين الجوانح غصةً لها بين أحناء الضلوع وَقود

وأضحت أمانى القرب منك ضئيلة ومرُّ الليالى ضُعفهـا سيزيد

* * *

أتذكر إذ ودَّعتنا صبح ليلة يموج بها أنس لنا وورود

وهل كان ذا رمزا لتوديع أنسنا وهل بعد هذا البين سوف يعود

ألم تر هذا الدهر كيف تلاعبت أصابعه بالدر وهو نضيد

* * *

إذا ذكروا للود شخصاً محافظاً تجلى لنا مرآك وهو بعيد

إذا قيل من للعلم والفكر والتقى ذكرتك إيقاناً بأنك فريد

فقل لليالى جددى من نظامنا فحسبكِ ما قد كان فهو شديد

وكتب تحتها ما يتلو :

هذه كلمات جاشت بها النفس الآن عند إرادة الكتابة إليكم ، فأبثها على علاتها ، وهى وإن لم يكن لها رونق البلاغة والفصاحة فان الود والإخاء والوجدان النفسى يترقرق فى أعماقها

---

(١) والرسالة محفوظة بالمكتبة التيمورية

فقلت فى الجواب عن هذه الأبيات الطافحة وداً وإخاء ما يأتى :

أينعم لى بال وأنت بعيد وأسلو بطيف والمنام شريد
إذا أجّجت ذكراك شوقىَ أخضلت لعمرى- بدمع المقلتين- خدود[١]
بعدتُ وآماد[٢] الحياة كثيرة وللأمد الأسمى علىَّ عهود
بعدت بجثماني وروحي رهينة[٣] لديك وللود الصميم قيود
عرفتك إذ زرت الوزير وقد حنا علىَّ باقبال وأنت شهيد[٤]
فكان غروب الشمس فجر صداقة لها بين أحناء الضلوع خلود
لقيتُ الوداد الحر فى قلب ماجد وأصدقُ من يُصفى الوداد مجيد[٥]
ألم ترمِ فى الاصلاح عن قوس ناقد درى كيف يُرعى طارف وتليد
و قُمتَ على الآداب تحمى قديمها مخافة أن يطغَى عليه جديد
أتذكر إذ كنا نباكر معهدا حمياه علم والسقاة أسود[٦]
أتذكر إذ كنا قرينين عندما يحينُ صدور أو يحينُ ورود
فأين لياليها وأسمارُها التى تُبَلُّ بها عند الظِّماء كُبُود
ليال قضيناها بتونس ليتها تعود وجيش الغاصبين طريد

---

(١) أخضلت : ابتلت (٢) جمع أمد : الغاية (٣) مقيدة

(٤) شهيد : حاضر ، والوزير هو العلامة الشيخ محمد العزيز ابو عتور جد الاستاذ الشيخ ابن عاشور من جهة الام ، والبيت إشارة الى أول يوم انعقد فيه التعارف بين صاحب الديوان والاستاذ ابن عاشور

(٥) يصفى الوداد : يخلصه ، تقول أصفيته ودى اذا اخصلته له

(٦) يعنى بالمعهد جامع الزيتونة ، ويعنى بالسقاة أساتذته . ولمح بقوله « اسود » الى ماكان لهم من المهابة فى القلوب

خاتم خالق

وقائلة ما هــــذه الشامة التي ... أرى أهى القرحُ الذى مر عهده(١)

فقلت لها الشيطان يزعم أنه ... يوجهنى أنَّى توجه قصده

ومهما رمى الشيطان سهم غواية ... يكيد عباد الله أخفق كيده

وهذا الذى أبصرتِ خاتم خالقى ... ليشهد لى ما عشت أنى عبده(٢)

* * *

أموت مجليا

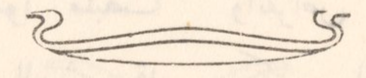
أبدى الطبيب المستشار نصيحة ... فوقفت منها وقفة المتردد

قال احم فكرك أن يروض أوابدا ... واقنع بما يبدو على ظهر اليد

فالفكر إن تُبعِد مداه وأنت فى ... هذا الضنى لاقيت حتفك فى الغد

نفسى أبت لى أن تبيت قريحتى ... ويراعتى فى نومة المتبلد(٣)

ولأن أموت مجلِّيا(٤) خير لها ... من أن أعيش على الفراش كمقعد



(١) الشامة : علامة تخالف البدن الذى هى فيه ، وهى أثر عملية جراحية أجريت لفضيلة الأستاذ صاحب الديوان سنة ١٣٦٥ فى أعلى القفا

(٢) إشارة الى قوله تعالى ﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ﴾

(٣) المتبلد : هو المتجلد

(٤) المجلى : الأول من خيل السباق

بين المستشفى والمسجد

قيلت فى رمضان سنة ١٣٧١

يانفوسا رُبيت فى رَشَدِ لاتغرَّنْك حياةُ النكدِ
سطع الايمانُ فى القلب كما سطعت بهجةُ هذا المسجد
واذا ما فاتكِ الرشد فلا تفخرى يوما بنبل المشهد
عثرت بى همم الدنيا كما عثرت بى فرس فى جلمد
لستُ أدرى أفؤادى عامر أم خلىٌّ من خصال السؤدد
وأذاقتنى الليالى كدراً بعد ما احلولتْ بعيش رغد
صرعتنى غمرة ما حل بى مثلها عُسرا وطول أمد
خفقت فى الرأس روح فجْأة وهوى فى الأرض خُرّ الجسد
ولسانى نسى القول وفى أرجلى قيد كقيد المقعد
فحسبتُ الأجَل المحتوم لم يتأخر وأتى فى الموعد
بادَر المسعف يزجى مركبا مَدّ جسمى فيه مدَّ الملحَد
رام بى القصر (١) وألقى فتية وردوا فى الطب أصفىٰ مورد
نقروا الصدر وجسّوا منبضا وانقراضُ العمر يُدرَى باليد
واستبانوا أن ربّ العرش قد كتب المحيا بناب الأسد
عدتُ للدار التى فارقتها فى مساء الأمس من صبح غد
وتولانى أساةٌ ها أنا ذا ألاقى يومهم فى أسعد
وصفوا الداء وقالوا طبه مطعمٌ مرٌّ ووخز العضد

---

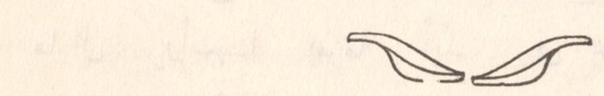
(١) القصر العينى الجديد

كم طبيب أمّه المرضى فعا دوا بليل مثل ليْل الأرمد
ليته يفقـــه سرّاً مودَعا في جنى النحل وريق الأسود[١]
واذا المرء اشتفى من علة فبفضـــل الأزلى الصمد
قوَّم الجسم بمستشفى كما قُوِّمتْ أفكارُه بالمسجد

* * *

مارقمت يدى

غلا فى امتداحى مُلْهَجٌ[٢] بمحبتى
وأسرف فى ذمّى المصرُّ على حقـد
يدسّ أخو الحقـــد المزايا وربّما
طلاها بأصباغ الذنوب على عمـد
وللحبّ عينٌ أبتنى البيت من حصىً
فتبصره دُرّا على القرب والبعـد
رويدك زنْ بالقسط مارقمت يدى
على ورق تخبُرْ[٣] حقيقـة ما عندى



---

(١) الحية
(٢) ملهج : مولع
(٣) تخبر : تعلم

حسن العهد

بعث اليه صديقه الشيخ على النيفر بهذه القصيدة من تونس :

أزج القوافىَ شُرّداً وأوابدا ... لحمىً يعجُّ مكارماً ومحامدا
وأنخ كرائمها لدَيْه فساحُه ... ترعىْ القصيدَ ولاتردُّ القاصدا
غِيلُ الأعارب مُلتقى أبطالهم ... ور بيـعُ مستنهم وحسبك رافدا
حيث الرضا الخضر الحسين تخال ما ... يبديه من غُرَر البيان قلائدا
حيث ابتنى فى مصر للخضراء من ... عرفانه علماً يَغيظ الحاسدا
أعلى مناراً (للهداية) فى مَغا ... نيها فعاد به المغفل راشدا
وبه (لوا الاسلام) يخفق عاليا ... فأظل ممروراً وأدفأ صاردا
قد أذكرانا منه صرح (سعادة) ... عظمى بتونس كان أعلى شائدا
و(الأزهر) المعمور حبْرٌ سِفرَه ... حُقبا وأطلع فى سماه فراقدا
ولكم به قد بثَّ علماً نافعاً ... نقع الغليل لمن أتاه واردا
يحكى الذى أحيي به (زيتونة) الـ ... ـعرفان فى علم أضاء معاهدا
و(المجمع اللغوى) فى مصر غدا ... فيه لما يعلى العروبة ماهدا
وبحسبه أن راح يرأس (جبهة) ... لدفاع من ناوى المغارب صامدا
مازال يرأسها بعزمة أيِّدٍ ... فى صحبة الأبرار يدأب ذائدا
سبحان من أولاك علما واسعا ... وتقىً وخُلقا مثل خيمك ماجدا
يا فخر تونس ياميمم من نأى ... عنها بمصر مهاجرا أو واردا
يا أنس مغترب وموئل لاجئ ... وكفى بما شهد البرية شاهدا
أهدى لكم منى تحية شائق ... لكريم خلقكم الهنىّ مواردا

مازلت أذكرها بمصر مجالسا … لكمُ علينا قد نثرن فرائدا
ابقاك من رقاك أرفع رتبة … وحباك فى كل الأمور مَراشدا
وبقيت من كل الخطوب مسلَّما … لجميع ما ترجو وتأمل واجدا



فاجابه عليها بهذه الأبيات :

رَعَا اللهُ حسنَ العهد هزَّ قريحة … فألقت علينا من حلاها فرائدا
وما الكلم الفصحى سوى درر اذا … تلاقت على القرطاس صارت قلائدا
ورُبَّ قصيدٍ هاج ذكرىً تثير من … تَباريح شوق ما يذيب الجلامدا
قصيدٌ بدا من أفق أرض نشأت فى … مِهاد رُباها لا عدمتُ القصائدا
أبا الحسن استسمنتَ ذا وَرَم أما … ترى عزمه بين الجوانح خامـدا
ولا خير فيمن غاد صارمُ عزمه … كَهاما ويرضى أن يسمى المجاهدا
وأطريتَ ظمآنَ استبان لِداُته … مَواردَ عرفان وضـلَّ المواردا
نظرتَ بعين الودّ سيرته فمـا … دريتَ الذى تدريه لو جئتَ ناقدا
حمدنا سُراكم يوم وافيتَ قادما … على الطائر الميمون للحجّ قاصدا
طلعتَ علينـا واشتياقى لتونس … يقلّب جمرا بين جنبىَّ واقدا
فأهديتَ طاقات من الأنس طالما … بـكرتُ لها بين الخمائل ناشدا
لقيتُ بلقياك الأريبَ الذى حكى … بسيرته الحسناء جَدًّا ووالدا
ذكرتُهما عند اللقاء ، وانما … ذكرت علوماً جَمّة ومحـامدا
ولم أنس أن كان الموقرُ جدُّكم … غداة امتحانى مستشارا وشاهدا
فنوّه بى عطفـاً وتنويهُ مثله … يُروّج ذكرا مثلَ ذكرِى كاسدا

بعيشكَ حدثنى عن المعهد الذى   قضيتُ به عهد الشبيبة رائدا

حظيتُ بأشياخ ملأتُ الفؤاد من   تجلتهم لما خبرت الأماجدا

بيانُ أديب يقلب الليل ضحوة   وفكرة نحرير تصيد الأوابدا

فلم يُرِنى أدرَى وأنبلَ منهمُ   رحيلٌ طوى بى أبحراً وفدافدا

ويأبى قريضى وهو ضيف حماكَ أن   يَمُرَّ بمرسَى المهدوىّ محايدا

فلى فى نَقاها جيرةٌ كنت أقتنى   طرائفَ من إيناسهم وتلائدا

فدعه يحييهم حِفاظا لعهدهم   ويأوِى الى مغناك فى الطرس عائدا

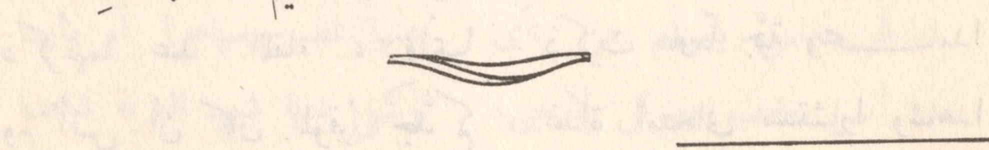
أنباء تونس

قالها عند مازاره أديب قادما من تونس

أمحدِّثى ربيت فى الوطن الذى
ربيت تحت سمائه وبلغت رشدا

وجنيتَ زهر ثقافة من روضة(١)
كنت اجتنيت بنفسجا منها ووردا

هات الحديث فاننى أصبو إلى
أنباء تونس من صميم القلب جِدًّا



(١) الجامعة الزيتونية

المعارف والصنائع

عن مجلة السعادة العظمى سنة ١٣٢٢ ﻫ

أيعاتب الزمن الذى لا يسعدُ وبنوه فى مهد البطالة هُجَّدُ
مهلا فما هو بالملوم ومن رمى سهمَ الملامة نحوه فمفند
لو أفرغوا فى وسعه ما جل من عمل لأغدق فيه عيش أرغد
أرأيت كيف شدت بلابلُ سعده وزهت ببهجتها غصونٌ مُيَّد
إذ أنفق الأسلافُ فى سبل العلا أقصى الجهودِ ولم يفتهم مقصد
كنا بنى الاسلام أصدق لهجة وأصحَّ عهدا بالوفاء يؤكد
عقد التواخى فى الديانة بيننا نسبا ، قرابته أشد وأفيَدُ
ما سام ذو رأى سديد مطلباً إلا غدا بيد المعونة يعضد
ولنا نفوس لم تنط آمالها إلا بما هو فى المعالى أمجد
تُنْضى عزائمَ كالسيوف صرامة لكن لوفر طِعانها لا تغمد
كنا بدورَ هداية مامن سنًى إلا ومن أنوارها يستوقد
واذا تكامل واستوى بدر بدا فى أفق طلعته السنية فرقد
كنا بحور معارف ما من حلى إلا ومن أغوارها يتصيد
ما صرصرتْ أقلامُنا فى مِهْرَقٍ إلا رأيت الدرَّ فيه ينضد
من كل معنى يبهر الألباب أو نسج يقوم له البليغُ ويقعد
ويقوم فينا للخطابة مِصقع فترى بنات الفكر كيف تولد
كنا جلاءً للصدور من القذىٰ ولواؤنا بيد السعادة يعقد
ما صافحتْ راحاتُنا دوحاً ذوىٰ إلا وأينع منه غصن أغيَد
ومن احتمى بطرافنا السامى الذرى آوىٰ إلى الحرم الذي لا يضهد

لا يمترى أهلُ التمدن أنهم لو لم يسيروا إثرَنا لم يصعدوا
فسلوا متى شئتم سراتَهم فما من أمة إلا لنا فيها يد
لا فخرَ فى الدنيا بغير مجادة تعنو لها الأمم العظام وتسجد
لكننا لم نرعَ فيها حرمةً بذمامها منا الرقاب تقلد
أخذت مطيات الهوى تحدو بنا فى كل لاغية كساعة نولد
حتى انزوىٰ من ظلها الممدود ما فيه مقامٌ يُستطاب ومقعد

* * *

أبناءَ هذا العصر هل من نهضة تشفى غليلاً حرُّه يتصعد
هٰذى الصنائع ذللت أدواتها وسبيلها للعالمين ممهد
وكذاك بذرُ العلم أخرج شَطْأَه ودنا جناه فما لنا لا نحصد
بهما جرى القوم الذين استضعفوا من قبل شوطا فى التقدم يبعد
أفلا نسير مسير ذى رشد الى آثار ما قد أسسوه وشيدوا
فلطالما حوتِ الغنائم جولة من رائد النظر الذى لا يخمد
إن المعارف والصنائع عدةٌ باب الترقى من سواها موصد

فلسطين

كان أحد الأدباء بتونس بعث بيتين مقترحا تشطيرهما ، فأجبت اقتراحه .
والبيتان مع التشطير هما :

« وخبِّرْهم وأنت بهم خبير » بما فعلته جالية اليهود
وذكِّرْ آل يَعْرُبَ أين كانوا « بأن الذل شِنْشِنةُ العبيد »
« وأن نفوس هذا الخلق تأبى » حياة تحت سيطرة المسود
وإن خضعت لها فقد استحلتْ « لغير إلٰهها ذلَّ السجود »

الحياة الاجتماعية

ليس الحياة نماء الجسم فى أمد ... ولا الحمام تَوارِى الجسم بالنفد
إن الحياة هى الأيامُ زاهرة ... وليس بالموت غير العيش فى نكد
ولا يطيب الفتى عيشاً إذا نسجتْ ... فى أرضه مزنة والناس فى جرد
وإنما الشعب أفرادٌ مؤلفة ... فى هيئة الفرد ذو قلب وذو جسد
أما الفؤاد فأرباب السياسة إن ... همُّوا بخير فباقى الجسم فى رشد
وإن ذكت أمة لا نت قلادتها ... بكف قائدها فى السهل والسَّنَد
والعزُّ فى الدولة العظمى إذا بنيت ... على أساس من الأحكام مطرد
ولا عواطف إلا أن تسوّىَ فى ... إجرائها نازح الأوطان بالولد
تحمى حقوق بنى الانسان قاطبة ... لا يعتدى أحد منهم على أحد
والعدل أن يلجوا فصل الخصومة من ... باب المساواة لا إيثار ذى حَقَد
وكيف يرجح أقوام ووزنهم ... فيما يحد به الانسان لم يزد
إن الرعية أعضاء مساعدة ... للملك بالرأى والأموال والحشد
تلك العظائم لا تشتد أزمتها ... وطأ إذا ضربوا فيها يداً بيد
كذا المشاكل لا تجلو غوامضها ... إلاّ بمجلس شورى راسخ العمد
فمن تصادُمِ أفكار الرجال يُرَى ... برق الحقيقة وضاحا لذى رصد
ونفثةُ القلم الراقى لها أثر ... أشدُّ من أثر النفّاث فى العقد
والقابضون على أمر السياسة لا ... يسرهم أن تُرى الأقلام فى صفد
يسمو بهم شرف الوجدان أن يضعوا ... نظامهم بمكان العير والوَتِد
يسوؤهم أن يرونا نائمين على ... صماخ آذاننا فى صورة الجمَد
لا نستميت على أرض الخمول ولا ... نرمى بسهم من الأقوال ذى أوَد
ولا يطيش بنا داعى الشجاعة عن ... رسم اعتدال فان الحق ذو جلد

حرف الذال

صيانة النفس عن الملق

قالها فى مصر سنة ١٣٦٤

قالوا : ركبتَ بالانقباض مطية
أقصتك عن عيش الثَّرىِّ لمـاذا ؟
قلت : انقباضى أن أصون النفس عن
ملق يعـاقره الطغـام لواذا[١]
إن ينتجع فئةٌ به وبلا فخـــذ
إخذَ الكرام ولو نجعت رذاذا[٢]
ومن السلامة أن أصون الوجه عن
مَلقى الذى اتخــذ النفاق ملاذا

(١) الطغام : أوباش الناس
(٢) يقال : أخذ إخذ فلان : سار سيرته

حرف الراء

حياة اللغة العربية

قيلت فى تونس سنة ١٣٢٦

بصرى يَسبَح فى وادى النظرْ يتقصَّى أثراً بعـد أثرْ
وسبيلُ الرشـد ممهودٌ لمن يتحامى الغُمْضَ ما اسطاع السهر (١)
إنما الكون سجلٌّ رُسمت فيه للأفـكار آىٌ وعِبَر
وإذا أرخى الدجى أستـاره ظفر السمعُ بما فات البصر

* * *

لست أنسى جُنحَ ليل خفقت فيه بالأحشاء أنفاسُ الضجر (٢)
قمت أسعى لتقاضى سـلوة ومطايا السعى مِرقاة الوطر
حبَّذا ريحُ الصبا ريحاً جرت بحَسِيسٍ من أحاديث السمر (٣)
فحدَتْ بى نحو ناد نشبوا فى لحاء ولَجاج منتشِر (٤)
وإذا الخصمان لم يهتـديا سُنَّةَ البحث عن الحق غبر (٥)

(١) الغُمض : النوم . يقال ما اكتحلت غَمضا
(٢) جنح الليل ـ بكسر الجيم وضمها ـ الطائفة منه
(٣) الحسيس : الصوت
(٤) النادى : مجلس القوم يتحدَّثون فيه ، والمراد هنا أهله مجازا . ونشب فى الامر : ادخل فيه وعَلِـقه الامر . واللحاء المهاجاة
(٥) غبر أى الحق ، وغبر : ذهب

هذه طائفة تشـــدو بما في لسان العرب من فضل ظهر (١)
وجفته فئـــة فاهتضموا حقه والجهل مَدعاة الهـذر
وتراضَوا بعـد ذا أن نصبوا حَـكما بينهم فيما شجر (٢)
أبدع القولَ وقـد أسعده لهجةٌ فصحيٰ وجَأشٌ مستقر
لغة أودع فى أصدافهـــا من قوانين الهدَى أبهى درر
أفلم ينسج على منوالهـــا كلم التنزيل فى أسمى سور
لغة تقطف من أغصانها زهر آداب واخـلاق غرر
هى بحرٌ غُصنْ على حليتها فلآلى البحر ليست تَنحصر
ضرَبت فى كل فن ساحر من فنون القول بالسهم الأغرّ

***

أفما أحسستَ فى أجراسها رقةً تذهل عن نغم الوتر
ورقيق اللفظ يسرى فى الحشـا ما سرت نظرةُ ظبيٍ ذى حور
لفظها الجـزلُ له وقع كما يقع السيفُ إذا السيف خطر
وأبنُها المنطيق إن زُجَّ به فى مَجال القول جَلَّى وبهر
يُـبرز المعنى متى شاء على صُوَر شأن الغنيِّ المقتدر
ثم لا يعجزه السير على طِرْزها فى كل معنى مبتكر
فاسأل التاريخَ ينبئك بما أنجبت أرضُ قريش ومُضر (٣)

---

(١) يقال شدا الشعرَ : تغـنّى به وترنم . يريد : تتمدّحه وتمجّـده
(٢) فيما شجر : أى فيما وقع من النزاع والخلاف
(٣) بما أنجبت أرض قريش أى بما أنجبت به . يقال أنجب به أبواه وحذف العائد هنا قياسى

من خطيب مِصقع أو شاعر مُفلِق يسحب أذيال الفَخَر (١)
ضلَّ قوم سلكوا فى حفظها سبباً أوهن من حبل القمر (٢)
ألقِمتْ فى نطق قومى أحرفاً من لغىً أخرى فأضناها الخدر (٣)
بعض من لم يفقهوا أسرارَها قذفوها بموات مستتر
نفروا منها لواذاً ، وإذا جفَّ طبعُ المرء لم تغن النُّذُر
ما زكا تفّاحُ لبنان على حَسَك السعدان فى ذوق مذر (٤)
واستوى فى نظر الأعشى ضحىً زهر روض وهشيم المحتظِر (٥)

تشطير بيتين لأحد أدباء العراق

— وها هما ذان مع التشطير —

(سيدَ الرسل ومن بَعثْتُه) سطعت فانقلب الليلُ نهارا
سُلبتْ أمتُك العزَّ وكم (كست الكونَ بهاء وفخارا)
(قم إلى النور الذى جئتَ به) والورى فى غَسق الجهل حيارى
تلق نار الغىّ تسطو حوله (أفترضى أن يصير النور نارا)

---

(١) الفخَر والفخْر : التمدح بالخصال الحميدة
(٢) حبل القمر : ما يتراءى كأنه خيوط من شعاعه ، ويقال له أيضا خيط القمر
(٣) الخَدَر : ضعف الأعضاء واسترخاؤها
(٤) حَسَك السعدان : هو شوك النبت المسمى بالسعدان ، وهو من أفضل ما ترعاه الابل
(٥) المحتظِر : الذى يعمل الحظيرة . ويصنع العرب الحظيرة للمواشى والسكنى من الاغصان والشجر والقصب . والهشيم : ما يبس من الحظيرة بطول الزمان تطؤه البهائم فيهشم

كذلك كان فى الدنيا علىّ

صدرت به الكلمة التى افتتح بها صاحب الديوان
حفلة تأبين الشيخ على محفوظ

هما السهمان يشتبهان مرمىً ... وما كل السهام يصيد عُمرا
وما سهمُ المنون كسهم قوس ... إذا جريا إلى الأهداف قسرا
فسهم القوس كالعشواء يعدو ... فيخطىء مرة ويصيب أخرى
ولا ترمى المنون بغير سهم ... يهُب بنصله ويصيب نحرا
وأحزمُ من رأت عينى أريبٌ ... يقدّم قبل أن يغشاه ذخرا
ولا مثلَ امرئٍ يدعو بجدٍّ ... إلى طُرُق السعادة مستمرا
تلين به قلوب لو مددت الـ ... بنان يجسُّها للمست صخرا
يذكرنا بمنطقه وتُهدى ... لنا أقلامه عظة وذكرى
كذلك كان فى الدنيا علىٌّ ... وعاقبة التقى رحمىٰ وبشرىٰ

مناجاة الفكر

أسهر الليل وإن طال ومن ... يعشقِ المجد يلذَّ السهرا
لست ممن يفقدِ الأنس إذا ... أصبح الروض كئيباً أغبرا
لست آسىٰ إن مضى ليل وما ... صاحب زار ولا طيف سرى
هو ذا الفكر يناجينى متى ... رمت أنساً ضحوة أو سحرا
يتسامى بى إلى أفق أرى ... فى معاليه السُّها والقمرا
لى يراع كلما استهديته ... جال فى الطِّرْس وأهدى دررا
فليكن فى الناس بخل إننى ... لست ممن يشتكى بخل الورىٰ

أنت بدر الضحى

قالها بمناسبة مجلس ذكر فيه الفن المعروف فى البديع باسم « المراجعة » والمراجعة أن يحكى المتكلم مراجعة فى القول ومحاورة فى الحديث بينه وبين غيره بأوجز عبارة وأرشق سبك وأسهل لفظ فى بيت أو أبيات

وعد الخِلُّ أن يزور بليل ... قلت : دع للنهار هذا المزارا
قال : إنى أخو البدور ومن ذا ... يتملَّى أنسَ البدور نهارا
قلت : للقلب مقلة لا ترى إن ... زرتَ إلا بهاجة وازدهارا
أنت بدر الضحى فان غبت عدنا ... فى ظلام والشمس لم تتوارى
قال : هذا شعر فهات قياساً ... يتحنَّى « أرِسطُ » منه انبهارا[1]
قلت : بدر طلاعه الأنس أنَّى ... لاح فى رونق الضحى لا يُبارى[2]

على لسان قلم ناضل عن حق

قيلت على لسان القلم الذى كان آخر أقلام استعملها فى الرد على كتاب « فى الشعر الجاهلى » ، وأهديت بقيته إلى خزانة المرحوم أحمد تيمور باشا

سفكتْ دمى فى الطِرْس أنملُ كاتب ... وطوتنىَ المِبراةُ إلاّ ما ترى
ناضلتُ عن حق يحاول ذو هوىً ... تصويرَه للناس شيئا منكرا
لا تضربوا وجهَ الثرَى ببقيةٍ ... منى كما تُرمىٰ النواةُ وتزدرَى
لخزانةُ الأستاذ تيمور ازدهت ... بحلى من العرفان تبهر منظرا
فأنا الشهيد وتلك جنات الهدى ... لا أبتغى بسوى ذُراها مظهرا

---

(١) الانبهار : انقطاع النَّفس من الإعياء

(٢) طِلاع الشىء : مِلؤه . يريد أنه كله أنس

شهر صوم وجهاد

أبيات ختم بها حديث رمضان المنشور فى الأهرام سنة ١٣٦٥

شهر صوم وجهاد والفتى إن رمى عن قوس رشد لا يبارى
أنبِّ النفسَ إذا همَّت بأن تقضىَ اليومَ كما يقضى السكارى
إنما الحازم من صام ولو لمح العزة فى النجم لطارا
همَمٌ يختطُّها الفكر دجىً ويد الاصلاح تبنيها نهارا

قاذفات القنابل

على طريقة «ولقد ذكرتك»[1]

ولقد ذكرتك فى ظلام آذنتْ بخطوبه صفَّارةُ الانذار
والطائراتُ تحوم فوق رءوسنا ترمى الحتوفَ بيَمنة ويسار
ولو اطَّلعتِ على الشظايا خلتها شررَ الجحيم يطير كل مَطار
فعلمت أن نواك أروع للحشا من هول محرقة الجسوم بنار

التواضع والكبر

أرى مثمرَ الأغصان يدنو من الثرى وعاطلها يبغى بهامته الشِّعرى
فأذكر إذ يهوى الهمام تواضعا ويرفع مسلوبُ العلا أنفه كبرا

---

(١) أول من نهج هذا المنهج ـ فيما أعلم ـ عنترة إن صح ما ينسب إليه من قوله :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

المحجر الصحى بالمريجات

سنة ١٣٣٠

بين المريجات ما تحلو مناظره ... فى العين لكنّ نفسى مسّها ضجرُ
والنفس تضجر من دار المقام على ... رغم وإن كان من سُمّارها القمر

البَرَد فى الحديقة

قالها فى برلين سنة ١٣٣٧ ﻫ

هز النسيمُ غصونَ الروض فى سحر ... كما يهز بَنانُ الغادة الوترا
لذّ الحفيف على سمع الغمام أما ... تراه يحثو على أدواحه دُررا

القطار فى غُوطة دمشق

قالها عند ما دخل القطار فى بساتين دمشق لأول مرة سنة ١٣٣٠

لجّ القطارُ بنا والنار تسحبه ... ما بين رائق أشجار وأنهار
ومن عجائب ما تدريه فى سفر ... قومٌ يقادون للجنات بالنار

الوفاء فى اليسر والعسر

مَسّتِ العيشَ عسرةٌ فدعيها ... تبتلى الصبرَ ساعة وتمرّ
جارتى هكذا الزمان يوافيـ ... ـنا بيوم يجفو ويوم يسر
ما افتقدنا فى الحالتين وفاءً ... واحتفاءً به العيون تقر

عهد الشبيبة والمشيب

قالها بمناسبة خطاب جاءه من شقيقه السيد زين العابدين حسين المدرس بمدارس المعارف يصف فيه حسن مناظر الربيع فى دمشق وطيب هوائه ، ويدعوه إلى الزيارة

دعوتَ إلى دمشق وفى فؤادى ⁂ لها شوق أحرُّ من الهجير
تقول حَنا الربيع على رُباها ⁂ وحاكَ طنافسَ الزهر النضير
وهبَّ نسيمها الفيّاح يُهدى ⁂ إلى أرجائها أذكى عبير [(١)]
هلمَّ نعد بها عهدا مليئا ⁂ بما نهواه من عيش غرير [(٢)]

* * *

أزينَ العابدين لمحتَ منى ⁂ قصورا فى اللقاء فكن عذيرى
أثرتَ بمهجتى ذكرى ليال ⁂ قضيناها بدُمَّر فى حُبور [(٣)]
تملّينا سُلاف الأنس صِرفا ⁂ ولا قدحٌ سوى أدب السمير
مضى عهد الشبيبة فى صفاء ⁂ ورنَّق كأسَنا عهدُ القتير [(٤)]
يضيق الباع عن همم جسام ⁂ فياويلى من الباع القصير
وفلَّ الدهر عزما كان يسطو ⁂ على الأخطار مصقول الأثير [(٥)]

---

(١) العبير : اخلاط من الطيب

(٢) يقال : هو ملىء بكذا أى مضطلع به . وعيش غرير : ناعم ، كما يقال عيش أبله لغفلة صاحبه عن الطوارق

(٣) دمر : متنزه فى ضواحى دمشق به مياه دافقة ، واشجار متعانقة

(٤) رنّق : كدّر ، والقتير : الشيب

(٥) أثير السيف : وشيه

أعدْ لى يا زمان حُسام عزم يناهضُ صَوْلةَ الخطب العسير
وخلِّ سواى يستمتعْ بعيش حلا بين الخوَرْنَق والسَّدير (١)

أمنية عليل

عليلٌ وما لى علة غير رجفة تهز فؤادى يمنة ويسارا
ألمت كإلمام النذير لمن طغى ولم يتخذ ذكرى المصير شعارا
وياليته طهرٌ يعيد صحيفتى كما سطعت شمسُ السماء نهارا
إذن لا أبالى أن ألاقىَ مصرعى وألبسَ من تُرْب الضريح دِثارا
أأُوثر عيشا والعدوّ بأرضنا يشيِّد حصنا أو يخط مطارا

نجوم الأرض

قيلت بمناسبة ما ذكر فى أحد المجالس فى النوع المسمى فى البديع بالمطابقة والمطابقة هنا فى الجمع بين الليل والنهار والبياض والسمرة والقبة الزرقاء (أى السماء) والأرض

نجوم القبـة الزرقاء تبدو بليل فى بياض وازدهار
وسمرُ الغيد من فتيات حام (٢) نجوم الأرض تخطر فى النهار

---

(١) الخورنق : قصر للنعمان الأكبر ، معرب خوَرنقاه ومعناه بالفارسية : موضع الأكل والشرب ، والسدير قيل نهر بناحية الحيرة ، وقيل : قصر قريب من الخورنق كان النعمان الاكبر اتخذه لبعض ملوك العجم — معجم البلدان لياقوت ، وقال شارح القاموس : السدير قصر فى الحيرة من منازل المناذرة وابنيتهم

(٢) أى السودان

ذكرى

قصيدة بعث بها أمير شعراء تونس السيد الشاذلى خازندار الى صاحب الديوان ، فأجابه عليها بمثلها . وهذا نص القصيدتين :

يزجى القوافيَ بين الأنجُم الزُهرِ تحنانُ تونسنا الخضراء (للخضِر)

فى كل منحىً لزيتونىّ جامعه يعقوبُ يوسفَ يستأسيه للبصر

وفى الشوارد من (مكيه[1]) أدب فيه استعادة ما للشيخ من أثر

وللاخوَّة منـــه والبنوَّة فى أبناء جلدته مستلفت النظر

و (للسعادة[2]) فيما خط من صحف ذكرى تعيد لمثلى سالف العمر

لى فى البواكر من غرسى بروضتها ما استظهرته بنات الفكر من زهر

للجانبين بها الذكرى تعيد لنا عهد الشباب ونيل الفخر من صغر

سائل (سعادتنا العظمى) ونائلنا فيها (ابن عاشور) شيخ الجامع النضر

ما بيننا نصف قرن برزخ فصلت فيه الحقائق واجتزناه بالعصور

يسائل (النيل) يا أستاذ (مجردة) فيم استبيح بك استئثار محتكر

و (للكنانة) فى الإيثار من قدم شواهد المبتدا فى النحو والخبر[3]

ذرنى وشأن الليالى فى تحكمها فلست أجهل ما فيها من العبر

---

(١) إشارة الى السيد المكى شقيق صاحب الديوان ، وكاتب « الشوارد » المفيدة فى اللغة والأدب

(٢) اسم مجلة كان أصدرها صاحب الديوان فى تونس قبل رحلته الى الشرق

(٣) إشارة الى ابن خلدون

راجعت (ملهمتى[١]) فى ما اهتممت به	مما عليه عموم الناس من غير
لا سيما ما عليه نحن من خطل	ومن مَخاز ومن خُلف ومن خَوَر
برّاً وبحرا تولانا الفساد فما	فى القوم من خلق ترضى ولا سير
أما الديانة فالموؤدة انطمست	آثارها وانمحت محوا من الزبر
قالوا الصدور قبور للرفات وفى	يوم القيامة نحييها لمنتظر
زلوا وضلوا وحلوا كل رابطة	وحللوا كل محظور من الكبر
واستبدلوا الخالص الأزكى بزيفهم	واستهدفوا فى الهوى للمازق الخطر
لم تلق فى المظهر القومى من أثر	يرضيك مرآه من انثى ومن ذكر
ساد التنطع واسترعى بصائرهم	فلا استنارة للاذواق والفكر
عز التطبب واستعصى الشفاء فهل	من رحمة تنقذ المرضى من الخطر
لا يأس عندى وللديان متجهى	ما دام مثلك فى الأزكى من البشر
فلتحى يا أيها الاستاذ منتصرا	للدين فى ذروة التوفيق والظفر
وهذه نزعتى فالخلق أجمعهم	دون اعتقاد أولو الافساد فى نظرى
وما عليه الحياة اليوم من قلق	يكفى دليلا وتكفى ومضة الشرر
فلنسع سعى الهداة الراشدين معا	أما النجاح فموكول الى القدر

✡ ✡ ✡

فأجابه عليها صاحب الديوان بالقصيدة الآتية :

طال البقاء وباعُ العزم فى قِصر	فما قضيت به للمجد من وطر
أبيتُ سبعين عاما والهوى يقظ	أرى بمرآته الحصباء كالدرر

---

(١) إشارة الى النفس الملهمة

وحسنُ ظنك بى وارى نقائض لا — تغيب عن أعين النُّقّاد للسير
وللرضا منطق لو شاء صوّر لى — وجه الذميمة منحوتا من القمر
ماذا يرى شاعر الخضراء فى صلة — شدّت عُراها يدٌ محمودة الأثر
ذكّرتَ عهداً ذكت آدابه وزهت — كما زهت حلية فى سيف منتصر
نسيتُ نفسىَ ان أُنسيتُه وله — فى طيها صورة من أبهج الصور
مازلتُ أذكر ما خطّت يمينك فى — سفر السعادة من آدابك الغرر
ولم تفتنى قواف كنت تُرسل فى — يوم النّضال بها فيلا من الشّرر
وأنفع الشعر ما هاج الحماسة فى — شعب يُقاسى اضطهاد الجائر الأَشِر
لو لم أخف وخز تثريب يصول به — علىّ ناقد شعرى من بنى مضر
لقلت لا شعرَ إلا فى قريحة من — يبيت من شقوة الأوطان فى سهر
من ذا يقيم على أرض يظللهـا — ضيم و يحسن وصف الدّلّ والحوَر
دريتَ حقا وما أدراك أنّىَ من — حرّ اشتياقى الى الخضراء فى ضجر
اقبلتَ تبحث عن ذكرىَ أبيتُ لما — فى سلوة عُصرت من جأش مصطبر
وصُغْتَها كالصبا فى رقة فسرت — والطّلُّ بلّل زهرَ الروض فى سحر
وافت فخلنا صباح العيد حنّ لنا — وعاد كى نتملّى الأُنس فى صفر
مَن لى بأن أرد الأرضَ التى صدرت — منها وأفتح فى أرجائها بصرى
هناك ما شئتَ من علم ومن أدب — ومن حدائق تؤتى أطيب الثمر
أُسيم طرفىَ « بالمرسى » وشاطئها — وآحتسى بلقاها قهوة السمر
ومِن نفائسها أنّى صحبت بها — من لو كدرتُ للاقى بالصفا كدرى [1]

---

(١) إيماء الى ما كان بينه وبين الاستاذ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور من الصداقة الخالصة ، وإيماء الى البيت المعروف :

وإنى لمشتاق الى ظل صاحب — يرق ويصفو إن كدرت عليه

ما ضَرّ « أريانة » الغنّاء لو قربت
من مصر فى نفحة من وردها العطر

نصحت ياشاذلى القومَ فى عــذَل
وغيرك اختانهم فى زى معتــذر

والناس مذ درجوا فوق الثرى اختلفت
طعومهم كاختــلاف الشهد والصَّبِر

تفاوتوا بالنهٰى حتى جرؤت على
رهط وبرّأتُ منهم أسرة البشر

هــذا درىٌّ بأسرار الأمور فــلا
يرمى الى هدف إلا على حذر

وذاك كالظل يقفو الدَّهرَ صاحبه
والرأىُ فى خطل والقولُ فى هذر

كلٌّ له نزعة تدعو الحــكيم الى
ما ينتقى فى دعاء الخــير من عِبَر

ما أقربَ الرشد منهم والفلاحَ اذا
ما ساسهم مُحــكِمٌ للوِرد والصّدَر

كيف ينشق القمر

قالها على شاطىء اسكندرونة سنة ١٣٣١

لاح شطر البدر من فوق الربا وله فى البحر تمثال أغرّ
مثلٌ أبصرُ فى مرآته بجلاء كيف ينشقّ القمر

حرف الزاى

كم أخزى الهوى عرضا ...

رأتْ إذ كنتَ تخطبها غراما
ومن بعد البناء رأت نشوزا[1]

أكانت يوم خطبتها فتاة
وصارت إذ بنيتَ بها عجوزا ؟

هى العقبىٰ لمن ركبت هواها
وكم أخزىٰ الهوى عرضا عزيزا

ولو نَشَدت أخا خلق مجيد
بنت حرزاً لعصمتها حريزا

(١) البناء : يريد الدخول بها

خواطر فى دمشق

أو تذكرة لشباب دمشق

ألقيت فى حفلة أقامها نخبة من رجال النهضة الاصلاحية فى دمشق
لتوديع صاحب الديوان سنة ١٣٦٣

ولدتْكَ تبغى فى الحياة أنيسا   يرعى عقولا أو يقود خميسا[(١)]
ولرُبَّ أم أمَّلت فى طفلها   همَمَ الملوك فقام يحدو العيسا
فكنِ الهمامَ يخوض لجة حكمة   أو يرتدى سيفاً ويفتح خِيسا[(٢)]
ولدتْك سمحَ النفس لا تدرى لِما   وضعوا السجونَ وأرسلوا الجاسوسا[(٣)]
تبدو على فمك ابتسامةُ زهرة   جاد الحيا بستانها المأنوسا[(٤)]
وقضيت حيناً لا تُسرُّ ضغينة   يوماً ولا تبدى الرضا تدليسا
وشعرت من رُعيا أبيك بأنَّ فى   أبناء قومك سائساً ومسوسا[(٥)]
ياليت قلب أبيك بين ضلوع مَن   ستكون فى يوم له مرءوسا

---

(١) الخميس : الجيش
(٢) موطن الاسد ، والمراد موطن الابطال
(٣) لا تدرى لما وضعوا السجون : أى لا تدرى لم وضعوا ، وإثبات ما الاستفهامية هنا دعا إليه ضرورة الشعر
(٤) الحيا : المطر
(٥) رعيا أبيك : أى حفظه لك وقيامه عليك

ما كنت تفقه أنَّ فوق الأرض مجـ ... روماً عليـه وجارماً غِطريسا[١]
فظننتهـا الفردوسَ حتى أبصرت ... عيناك حقَّ ضعيفهم مبخوسا
يسطو القويُّ على الضعيف ، وربما ... صار الضعيف على القوى رئيسا
حبسوا عصـيرا فى الدنان وطالما ... تركوه فى ظلماتهـا محبوسا
أرأيت كيف سطا على ألبـابهم ... بقناً تسمَّى فى البيان كئوسا
ماذا أبىٰ لك أن تعيش مقدساً ... كملائك السبع العـلىٰ تقديسا
أُعطيت مطلع أسعد ، فحذارِ أن ... يضع الهوى بدل السعود نحوسا
هى فطرةُ الخـلّاق كالمرآة لا ... تلقىٰ بهـا عوجاً ولا تدنيسا
تزداد يُمنـاً ما اتقيت ، فان دنا ... منها الخنا كانت عليك بَسوسا[٢]
وَرِيَتْ زنادُ يدٍ تؤاسى بائسـا ... ويد تحطم للطغـاة رءوسا
وكبت زناد يد غدت تبنى لآ ... مال الدعاة المصلحين رموسا
يا من يعوق الخير لستَ بفائت ... يوماً وإن طال الزمان عبوسا
نرثى لأقمـار الدجى والأرض قـد ... طمست سناها بالخسوف طموسا
والأرض لولا هـذه الأقمـار لم ... تلبس لأيام الـكسوف دموسا[٣]
فى العيش آلام وفى الآلام ما ... يدنى رغائب أو يزيح بؤوسا
شدُّوا على الطفل القماط فصاح من ... جزعٍ يروم لشـدة تنفيسا
والغُمر يأبى أن يطوع لفـاصد ... ينفى دماً من راهشَيْه خسيسا[٤]
والشهم من عانى الخطوب وراضها ... فغدت أرقَّ من النسيم مسيسا

---

(١) مجروما عليه : مجنيا عليه ، وجارما : جانياً . وغطريساً : أى ظالماً متكبراً
(٢) الخنا : الفحش . والبسوس : اسم امرأة يتشاءم بها (٣) الظلام
(٤) الراهشان : عرقان فى باطن الذراع . والغمر : من لم يجرب الامور

ونفاسة الأشياء في غاياتها فاحمد رماءك إن أصبت نفيسا

ضلَّتْ سبيلَ المجد نفسٌ فاخرت نفساً وعدَّت منزلا ولبوسا

كم شب وغد في الحلى ومقامه صرح يكاد يناطح البرجيسا[1]

لا فخر في الدنيا بغير عزائم تفرى الحديد ولا تهاب وطيسا[2]

وإذا الروية أيقظت عزم الفتى ملأت معاليه الفخامُ طروسا

**

أفتىَّ دمشق لديك ذكرى راحل لاقى بها الترحيب والتأنيسا

ترتاد روضا مخصبا وهزاره يشدو على الغصن الأنيق مَيوسا

تجنى ثمارا أو بمتع ناظرا وتشم ريَّا أو تلذ حسيسا[3]

أما نعيم الروح فهي هداية تلقى بها وجه الحياة أنيسا

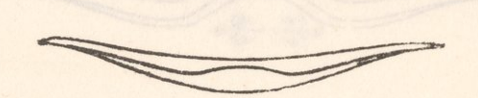
هـذا كتاب الله يبدى للورى حِكما كما تبدى السماء شموسا

حجج تذود عن النهى شُبها ولو حام الجحود بها لخرَّ فريسا[4]

ألقى زمام سياسة الدنيا إلى ملأ رعوه وأقرضوه نفوسا

وأقام سوقا للمكارم ناشراً فيها بمِذياع البيان دروسا

لولا هداه لحار أذكى الناس في إصلاح أمته وعاد يؤوسا



---

(١) البرجيس : كوكب هو المشترى

(٢) وطيسا ، يريد وطيس الحرب وهو حرّها . وأصل الوطيس التنّور

(٣) الريَّا : الرائحة الطيِّبة

(٤) النهى : العقل ، وفريساً : أى قتيلا

فى الاعتقال

قيلت فى رمضان سنة ١٣٣٤
وكان ذلك فى عهد جمال باشا فى دمشق

جرى سمر يوم اعتُقلنا بفندُق
ضُحانا به ليل وسامرنا رمس [١]

فقال رفيق فى شقا الحبس [٢] إن فى الـ
حضارة أنساً لا يقاس به أنس

فقلت له : فضل البداوة راجح
وحسبك أن البدو ليس به حبس



(١) السامر : مجلس السمار

(٢) هو الاستاذ سعدى بك ملا" رئيس الوزارة اللبنانية عند ظهور الطبعة الأولى من الديوان ، وكان وقت الاعتقال سكرتيرا لشكرى باشا الايوبى

لحا الله الغواية

رأوا فى كفه ذهبـــا فطاشوا
إليـــه وطال بينهمُ المراش (١)

كأن التـــــبر نار فى ظلام
وهم من حول صفرته فَراش (٢)

يدار الغيُّ بين يديه صرفًا
فتغمره البشـــاشة والهشـــاش (٣)

وإن مرَّ الرشاد به تثنت
وكَشَّت تحت بردته رَقاش (٤)

لحا الله الغواية من طريقٍ
ينـــال به طعـــام أو رياش (٥)

(١) يقال هارشت بين الكلاب هراشا : حرَّشت بينها ، وهيَّجت بعضها على بعض ، وهارش بعضها بعضا

(٢) جمع فراشة وهو ما يتهافت فى السراج

(٣) الارتياح والخفة والنشاط

(٤) رقاش : حية (٥) لباس فاخر

حرف الصاد

التعلم الديني

بمدارس الحكومة وجامعاتها

كم بنىَ ساسةُ العلوم بمصر من صروح رَصينة وصَياصى (١)
وبلونا بنيانها فلمسنا ثغرة لم يسدَّها كفُّ راصى (٢)
وإذا فُلَّت القلاع فهاتوا فارقا بينها وبين الخصاص (٣)
حامىَ العلم إن فى الدين بحراً حافلا بالحلىِّ سهلَ المغاص
يرفع النفس من جحود فتغلو بالهدى بعد شقوة وارتخاص (٤)
ويريها نهج المعالى سويّاً غير ناء عنها ولا متعاص
ويهزُّ الأرواح بالمُثل الأبـ ـكار هزَّ الحداةُ ركبَ القِلاص (٥)
هو سيف نضاه كفُّ حكيم ليُذيق الطغاة حرَّ القصاص (٦)
جاء يهوى بملء جنبيه هدياً وعقول الأنام فى أقفاص
فكَّ عنها الأسار والخيرُ فى أن يفحص العقلُ كلَّ دان وقاص
وحياة الإنسان ميدان حرب ماله عن ورودها من مَناص

---

(١) جمع صيصة وهى الحصن ، والصروح : القصور
(٢) الراصى : المحكم المتقن
(٣) جمع خُص وهو البيت من قصب ، وفلت ثُلِمت
(٤) ارتخصه : عده رخيصا
(٥) القلاص : جمع القلوص وهى الناقة الفتية
(٦) نضاه : سله

وأخو الدين يحتمى من أذاها بحُسام عَضب ودرع دِلاص[١]

إنما الدين عزّة وعفاف يصرف الطرفَ عن وجوه المعاصى

وحجاج مثل القواضب إن لم يك إلا اليقينُ وجهَ الخلاص

وقوانين إن تصدَّت لفصل أخذت بالقلوب لا بالنواصى

لو تراءت للعين يوماً لقلنا هل لهذا الجُمان من قنَّاص

وكأيّن من حكمة لو تبدَّت طلعةَ البدر لم يُصَب بانتقاص

فمنَ الخير أن يشبَّ على آ دابه نشؤنا بغير خصاص

ويح نشء من الصَّباء[٢] بِطان ومن الرشد والتقاة خِماص

✲ ✲ ✲

حامىَ العلم أقرضِ الشرع حظا قائقاً من رعاية واحتراص[٣]

والرئيس الهمام مَن لا يجارى شهوات الأحزاب والأشخاص

يتوخَّى الاصلاح أنى تبدَّى بجلاء لفكره الغوّاص

---

(١) درع دلاص : أى ملساء لينة

(٢) الصباء : جهلة الفتوة

(٣) احترص : حرص واجتهد

حرف الضاد

المحبة الصادقة

قالها تصويرا للصداقة الصحيحة

نُبِّئْتَ أنك موجع
فارتاع قلبي وانتفضْ
ما ضرَّ لو كنتُ المر
يض وزال عن خلي المرض
وجع القلوب أشدُّ من
وجع الجسوم إذا عرض
لا خلَّ إلا من يبي
ت إذا مرضتَ على مَضض

حرف الطاء

العيد فى برلين

قالها بمناسبة ادراك عيد الفطر له وهو فى برلين
سنة ١٣٣٣

أسِوارٌ من عسجد وجمانٌ تقتنيه الحسان فى الأقراط
أم هلال حفّته فى ليلة العيد نجومٌ ببهجة واغتباط
هذه طلعة الهلال ومالى لم أجد فى الفؤاد بعض انبساطى
يومُ عيد وما تفتق كِمٌّ (١) عن أنيس ولا كسمّ الخياط
ما تملّى سمعى تهانىء صيغت فى قلوب موصولة بنياطى (٢)
أين جيراننا ، وأين المصلّى ، وخطيب يهدى لخير صراط
أين منى شفيقة القلب (٣) تهدى دعواتٍ مثل الظباء عواطى (٤)
لو تقاضيت فى اغترابىَ أمرا نهضت همتى له ونشاطى
لأدَرْتُ العنان نحو دِمَشق وحمدتُ السرىٰ على الأشواط

✡✡✡

---

(١) غطاء النور
(٢) النياط : الفؤاد
(٣) والدته المتوفاة فى رمضان سنة ١٣٣٥
(٤) من عطا الظبى إذا رفع رأسه يتناول الثمر من الشجر

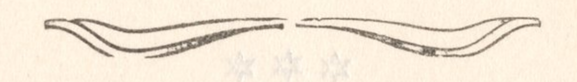
يامنطقيا

قالها فى مجلس أدب بمصر ذكر فيه بيتان من النسيب ملمّح بهما الى مسألة منطقية(١)

يا منطقيا عشتَ أحقابا ولم
تبرَحْ تقول لمن يَعى ويُخطط

الشمس كُلّىٌّ وليس له سوى
فرد يُصعِّد فى السماء ويهبط

لو آنستْ عيناك طلعةَ عزّة
لدريتَ أنك قد تقول فتغلطُ



---

(١) البيتان هما قول الشاعر :

ما للقيـاس الذى مازال مشتهرا — للمنطقيين فى الشرطى تسديد
أما رأوا وجه من أهوى وطرته — الشمس طالعة والليل موجود

حرف الظاء

رثاء أبي حاجب

قال هذه الابيات بمصر ، عندما ورد نبأ وفاة
استاذه العلامة الشيخ سالم أبي حاجب سنة ١٣٣٩

فقدتْ سماء المجد بدرا عزَّ أن تحظى برؤية مثله الألحاظُ
بدرٌ سناه هداية ومعارفٌ وشعاعه الأقلام والألفاظ
أودى الِحمام « بسالم » فبكاه من فرط الأسى العلماء والوعاظ
لم أدر إذ نعق النَّعىُّ أراعنى مَنعاه أم لفح الفؤادَ شُواظ[١]
يلقى حماةَ النحو فى نظراته نبْلاً إذا أعيا الحماة حِفاظ
يترسمون به الخليل[٢] كأنما شهدته أعينُهم وهم أيقاظ
وكأنَّ درس الفقه مجلس مالك وكأنما درس البيان عُكاظ
ويغوص فى درس الحديث على حُلىً غفلت عن استنباطها الحفاظ
وإذا تسنم للخطابة منبراً[٣] لانتْ قلوب كالصخور غلاظ
رُحمىً له قد كان لى من عطفه وجَنى قريحته اللذيذ حظاظ[٤]



---

(١) الشواظ : لهب لا دخان له
(٢) يرون به آثار الخليل بن أحمد
(٣) كان الاستاذ خطيبا بجامع فى تونس يدعى جامع « سبحان الله »
(٤) جمع حظ وهو النصيب من الخير

بين الشفقة والشوق

قالها عند زيارة بعض الأصدقاء فى تونس

وأديبٍ أيقظتُــه من رقاد
لنصيد الإينــاس من ألفاظه
طاب فى جَفنه النعــاسُ وظنّت
رفقةٌ أن تهيج نارُ اغتياظه
وصحــا باسمــاً وحيّا فأبصر
نا سَنا البِشر جالَ فى ألحاظه
نحن نهوىٰ له الهناءة لــكن
حرُّ شوق دعا الى إيقــاظه

حرف العين

اعمار زائفة

نفدَ العمرُ وفى القلب ارتيـــاعُ وارتجـــاعُ العمر مالا يستطاعُ
مَثَلى لما أنقضىْ دهرٌ ولم يكُ لى فيه نُهوض وارتفاع
طائرٌ هِيضَ جناحاه فما دأبه إلا جُثوم واضطجاع (١)
مُرَّ يا سائق بالسوق التى تُعرَض الأعمارُ فيهـــا وتباع
علَّنى أبتاع عمراً أُفعمت منه بالاحسان أعوامٌ وِساع (٢)

قيل : هـــذا عمرُ مُثرٍ غمرت ساحَه الفيحَ زروع ورباع (٣)
قلت : عمر ملؤه البرُّ وكم سعدت فيه عُراة وجياع
فاذا الإمساك يوحى حوله : ما لهذا العمر فى الاحسان باع

قيل : هذا عمر والٍ كان إن أمر الناس استكانوا وأطاعوا
قلت : عمر كالسماء امتلأت بالنجوم الزهر يعلوها شعاع
فاذا الأتراف يوحى حوله : همٌّ هذا العمر لهو ورتاع (٤)

---

(١) هيض جناحاه : كسرا بعد الجبور
(٢) وِسَاع : واحدها وَسيع
(٣) رِباع واحدها رَبْع وهو المنزل
(٤) الاكل والشرب بشدة

قيل : هذا عمر حَبر كان فى بيته كتبٌ وفى الكف يراع
قلت : عمر كسحابٍ غيثه حكمةٌ غرّاء أو فتوى تذاع
فاذا الأهواء توحى حوله : حشوُ هذا العمر خبٌّ(١) وابتداع

قيل : هذا عمر راعٍ وضعت تحت رعياه عقول وطباع(٢)
قلت : عمر يرتجى منه عُـلا لبنى العلم ورشدٌ واجتماع
فاذا الخيبة توحى حوله : سرٌّ هذا العمر زهو وخداع

قيل : هذا عمر قاض يبصر الـ حقَّ إذ يعلو ادّعاء ودفاع
قلت : عمر طالما زالت به إحنٌ بين خصوم ونزاع(٣)
فاذا الرشوة توحى حوله : شأن هذا العمر حيف وطماع(٤)

قيل : هذا عمر أستاذ روى ورأى ، والعلمُ رأيٌ وسماع
قلت : عمرٌ مثل واد ممرعٌ(٥) طاب فى مرعاه للناس انتجاع
فاذا العيُّ(٦) ينادى حوله : فات هذا العمرَ غوص واختراع

قيل : هذا عمر داع للتقى يأمر الناس وينهى فيطاع
قلت : عمر كله خير ولم يك فى أوقاته وقتٌ مُضاع
فاذا الخسر ينادى حوله : فات ذا العمرَ امتثال وارتداع

---

(١) الخب : الخداع
(٢) الرُعيا : الحفظ
(٣) الاَحن واحدها الإِحنة وهى الحقد والغضب
(٤) طماع : طمع (٥) ممرع : خصب
(٦) العىّ : العجز ، يقال : عىّ بأمره

قيل : هذا عمر مندوب لأن يشهد الشورى وآراء تشاع
قلت : عمر ينقذ الحق إذا هاجم الحقَّ لصوص أو سباع
فاذا العجز ينادى حوله : فات هذا العمر نطق واستماع

قيل : هذا عمر ذى سيف له طعنة نجلاء إن ثار النقاع[١]
قلت : عمر العزّ ، والأبطالُ إن هوجم القوم دروع وقلاع
فاذا الرعب ينادى حوله : فات ذا العمرَ طعان وقراع

قيل : هذا عمر ساع مُعولٍ ضاق عن ترفيهه كفٌ صَناع[٢]
قلت : عمر خُفَّ بالعسر ومن يحمل الكلَّ[٣] كريم وشجاع
فاذا السخط ينادى حوله : فات هذا العمر صبر واقتناع

✡ ✡ ✡

يارفيقاً طالما أفصح لى
عن خبايا فانجلى عنها القناع
لم لا يعرض فى السوق سوى
عُمر لم يرْضَه إلا الرّعاع[٤]
قال : جدَّ الجدُّ ، ما من عمر
ناصع الطلعة فى الدنيا يباع

---

(١) النقّاع جمع النّقع : وهو الغبار
(٢) صناع : ماهرة فى العمل ، والمُعوِل : كثير العيال
(٣) الكل : العاجز عن العمل
(٤) الاحداث الطغام

تحية المقام النبوى

ومناجاة الرسول

من قصيدة القاها أمام المقام النبوى
سنة ١٣٣١ هـ

أحييكَ والآماقُ ترسل مَدمعا … كأنىَ أحدو بالسلام مودِّعا

وما أدمع البشرى تلوح بوجنة … سوى ثغر صبّ بالوصال تمتعا

وقفت بمغنىً كان يا أشرف الورى … لطلعتك الحسنى مَصيفا ومربعا

فذا موقف لا مستُ فيه بأخمصى … أجلَّ من الدر النضيد وأرفعا

وذلك مرقى كنتَ تصدع فوقه … بما حاز فى أقصى البلاغة موقعا

وذاك مصلّىً طالما قمتَ قانتا … به، ويقوم الصحب خلفك خشَّعا

وذى حجرة كان الأمين يؤمها … بوحى فكانت للشريعة منبعا

ومنها :

وأروعُ ما شقَّ الفؤادَ بحسرة … وهاج به الأشجانَ حتى تقطعا

تخاذلُ حال المسلمين وما أتى … من الخطب فى أرجائهم وتجمعا

وما شأننا إلا كعقد تناثرت … جواهرُه فى سطح أحدبَ أنزعا

فهذا يحاذى فى قضاياه نزعة … تخط وراء الحق للناس مرتعا

وهذا يصوغ القول فى قالب يُرى … بجانبه قول الشريعة أوسعا

وذاك ينادى بالضلالة ماسحاً … بصبغة دين كى يغرَّ ويخدعا

ومنها :

ونمنا على الآذان نومة جاهل … بما يضع المستيقظون لنُصرعا

ولم نستفق للقوم حتى تحفَّزوا وأوجسَ كلٌّ بين جنبيه مطمعا
ولم نستفق للقوم إذ كلٌّ انتضى ليظفر باستعبادنا السيفَ مقرعا
ولم نستفق للقـارعات وقد دنت إلى مهجة الاسلام حتى تصدَّعا
وفى الناس من حاكَ الاياسُ بصدره فجرَّد أفراسَ الجهاد وأقلعا[1]
ومدب درى صرفَ الليالى وأنها تزلُّ بأعـلام وتونس بلقعا[2]
فقام على جدٍّ يُهيب بقومه ليرفأ فتقاً أو يشيّد مصنعا

ومنهـا :

يقول أناس إنمـا الدين عثرة بسابلة العمران تهوى بمن سعى
رمى بهم التقليد فى إثر ملحـد ولم يكشفوا عن ميسم الحق برقعا[3]

ومنهـا :

تجليت فى شَعب جرى فى عروقه دم الـكبر وارتاد الغواية إمّعا
تجليت والبغضاء تشوى صدورهم بنار فأصلتهــا قلوبا وأضلعا
فلقنتهم كيف الطموح إلى العلا إلى أن علوا فوق السماكين مطلعا

وخاتمتها :

عليك سلام الله ما انسجم الحيا وحيّا صباحٌ بالضيـاء وودعا

---

(١) حاكَ الشيء فى صدره : تردد وأثر
(٢) الندب : الخفيف فى الحاجة ، الظريف النجيب
(٣) المسيم والوسامة : أثر الحسن ، رمى بهم التقليد ، أى الذى عندهم هو التقليد

وما الود الا عهود تراعى

نشدتُ أريبـا يجُسُّ الطباعا ويكشف ـ عما يَريب ـ القناعا(١)
فمن لى به يوم يبدى أناس إخاءً وهم يضمرون الخداعا
قضيتُ ليـالى فى غرَّةٍ فلم أعرف الحِبَّ إلا سماعا
أباهى بأنَّ عـداد الأُلىٰ أصاحب يزداد ساعاً فساعا
أبيت على عهدهم ساهراً وما الودُّ إلا عهود تراعى
ولم أكُ أنقد خاطبَ وُدٍّ كما ينقد الناس تبراً مباعا(٢)
ومن عاش لاقىٰ ابتسامة خل على شفتى من يدسُّ القذاعا
ولولا أخ ينشر الحبُّ ما التـ قينا على وجنتيه شعاعا(٣)
رأيت الهدى أن أعيش وحيدا ولا أصحبَ الدهرَ إلا اليراعا

لم أذق طعم الذل

اذا ما تلاقينا وطرفك طامحٌ الى عزة أطرقت طرفى تواضعا
وان تلقنى يوما وأنفك شامخ رأيت فتى بين السِّماكين طالعا
وما ذقت طعمَ الذل لكن أعافه كما عِفتُ سُمّاً فى فم الصِّل ناقعا(٤)
ولا أرتدى بالكبر أسحب ذيله ولو جاء فى أسمى الأمانىِّ طائعا

---

(١) نشدت : طلبت يقال نشدت الضالة طلبتها
(٢) مباعا أى معروضاً للبيع ، يقال : أباع السلعة عرضها للبيع
(٣) ما التقينا أى مدة التقائنا ، وشعاعا معمول ينشر ، وجواب لولا هو رأيت فى البيت التالى
(٤) الصل : الحية — وناقعا : بالغا أو ثابتا

خائنو أوطانهم

عُجتُ يوما برياض أجتنى عِـــبَرا مما أرىٰ أو أسمعُ
فلمحتُ الفأس ملقاة ومن حولها أعناق دوح خُضَّعُ (١)
دوحة تلحظهـــا قائلةً والأسىٰ ساورها والفزع :
هذه قاصمة الظهر متى نزلت بالدوح حان المصرعُ

* * *

فاجابت جارةٌ تطفىء من رَوعها والرَّوعُ نارٌ تـلذع
لا يرُوعنك الحديد الصَّلب فى أرضنا ينحطّ أو يرتفع
فهو ما لم يلقَ من أعوادنا عضُدا يُسعـده لا يقطع

* * *

قلت : مرحىٰ ! حكمة لو ساغها خائنو أوطانهم لارتدعوا



(١) الدوح : جمع دوحة ، وهى الشجرة العظيمة

حرف الغين

كرم الاصل

قالها فى مصر سنة ١٣٦٥
تصويراً لحالة التلميذ الطيب المنبت

تقلدتَ فى صدر الحياة عزيمة ... وباكرتَ تجنى العلم والعيش رابغ (١)
فكنت ترى الأيامَ غرًّا سَواسيا (٢) ... كأسنان مشط ليس فيها زوائغ
وكنت تخال الناس طرا ملائكا ... لكل امرىء بُرد من الطهر سابغ
وتحسب من يشكو الزمان وأهله ... يزوِّر فى تخييله ويبالغ
سميرك سفر والدروس حدائق ... وإن أقبل الأستاذ فالبدر بازغ (٣)
تُراوح بين الدرس والبيت دائبا ... لُتحرز ما يصبو إليه النوابغ
ووفَّيت أيام التلقِّى حقوقَها ... فرأيُك وضاح وقولك دامغ (٤)
وصرت تصافى الناس أنَّى لقيتهم ... وقلبك من سوء الأظانين فارغ (٥)
وحسبُ السُرىٰ فى بغية العلم أنها ... وقَتْك فلم ينزغ فؤادك نازغ (٦)
وأعطتك ما فوق الحلىّ نفاسة ... وهل صاغ كالاخلاص فى الود صائغ
يروعك أن يندسَّ بين أُولى النهى ... ذئاب عَوادٍ أو أفاع لوادغ
خذ الحزم لا يلهيك عنه ابتسامة ... ولا رائق من زخرف القول سائغ

---

(١) رابغ : ناعم
(٢) سواسياً : متساوية
(٣) بازغ : طالع
(٤) دامغ : عال قاهر
(٥) الأظانين : جمع ظن
(٦) من نزغ أى أفسد ووسوس

مناجاة النفس

خواطر سنحت للشاعر فى مستشفى الروضة حيث أقام به ستة عشر يوما لاجراء عملية جراحية عقبها بحمد الله شفاء وعافية

كان طهراً من ذنوب سالفه[١] مسَّها سُقمٌ ، وفى الأسقام ما

تتلقاه على صبر وإن كان رحلا لمنون خاطفه

ثقة منها برُحمىٰ قادر ما لكرب من سواه كاشفه[٢]

ملأ العالمَ آياتٍ هى الز هر والألبابُ أيد قاطفه

فاحذرى أيتها النفس هوى يسترقُّ العقل قبل العاطفه

هو ذا الفرقان يلقِي حِكما تتملاّها فهومٌ ثاقفه

عصمة من كل ما تكبو به نظرات الفيلسوف القائفه

فردِى مَنهلَه فى لهف تجدى طبَّ النفوس اللاهفه

هذه الدنيا كتابٌ فاعرفى رمزه إن لم تكونى عارفه

معرض الأضداد تلقين بها دُرَّة التاج وأخرى زائفه

ووجوها حرة زاهرة ووجوها فى هوان خاسفه[٣]

وعيونا بالكرى طافحة وعيونا بدموع ذارفه

---

(١) مسها أى النفس . يريد الشاعر نفسه

(٢) كاشفة أى ذات كشف وتفريج

(٣) خاسفة : ذهب ضوؤها ونورها ، من خسف القمر

وقلوبا في المنى رائعة وقلوباً بالمآسي واجفه

تخطر السرّاء في رونقها فاذا البأساء تعدو رادفه

إن جنتك النحل شهداً فارقبي أن ترى رُقطا بسمّ زاحفه

هي سلم حين تلفى خاملا لا ينادَى لخطوب آزفه

وهي حرب حين تلقى ناهضا لا يهاب المرهفات القاصفه

يسلم الكوخ وتنصبُّ على الـ حصن نار الطائرات القاذفه

وضع الشيطان فيها نُصُباً من مَلاهٍ شاتياتٍ صائفه

فاسكبي أدمعك الحمرَ على أمة ظلت عليها عاكفه

ويح من يطغيه عيش رافهٌ والحميّا بالندامى طائفه

رب زهر راح من خمر الندى ثملا فاكتسحته العاصفه

لكفاح الشر قسطاس فان لم تقيمي الوزن كنت الآسفه

يصف الطب سموماً لو عدت وصفه كانت سهاماً جائفه

وأناة سمحة تكفيك في دفعك الشر سيولا جارفه

فارشقي عن قوس حلمٍ تطفئي نار غيظ من صدور راجفه

لا تشحّي باسم «غاز» عن فتى ساس بالحلم ليوثاً ناكفه

منطقٌ يلهج بالحسنى ولو جبهته اللهجات العاسفه

تنعق الغربان والورقاء في دوحها الميّاد تشدو هاتفه

أنا لم أنس غريبا زج في بطن وادينا جنودا سائفه(١)

أنكدُ الناس حياةً أمةٌ سلبتها الحكمَ أيدٍ حائفه

لا يروعنكِ سيوف وقنا مشرعات وسَفينٌ ناسفه

---

(١) سائفة : أي ذوي سيوف

منك عزم مرهف الحد ومن قــدَر الله صروف ساعفه
لا تخالى خيرَها وقفاً على عسجد يهمى كعين واكفه
شرُّ أيامك يوم ينقضى فى سوى معرفة أو عارفه(١)
لا يباهى بتليد المجد من ظل يوماً لا يبالى طارفه
أى فضل لحياة لا يرى ناقدوها غير بئر نازفه
فأنسى بالعيش إن مدَّ التقى من حواليه ظلالا وارفه
وأنسى بالموت إن أصبحتِ فى أفق العلياء شمسا كاسفه

الصداقة وحرية الرأى

أيصفو لى من الاصحاب خلٌّ له أدب أرقُّ من السُّلاف
أهيمُ به الحياةَ وما هُيامى بغـــــير الألمعيَّة والعفاف
يناقش أو يخالف بعضَ رأيى فأبهجُ بالنقاش وبالخلاف
وأوثر أن أكون محبَّ حر فخرُّ الرأى أمثلُ مَن تُصافى

كـبر الهمـة

يرمى الهمامُ وما غير العلا هدفا ولا يباكر إلا الروضةَ الأُنفا(٢)
والناس كالشِّعر إن وافيتَ تنقده ألفيتَ سبك القوافى منه مختلفا
كم بين شهم يدوس الصعب فى شمم وخامل بات فى مهد الهوى دنفا(٣)

---

(١) العارفة : المعروف والاحسان
(٢) الروضة الأُنف : التى لم تُرع . وذلك أنضر لها وأكمل لمحاسنها
(٣) الدنف : الذى أثقله المرض أو العشق وحالفه

من عجيب السحر

يزعم الساحرُ زورا أنه   يقلب السوطَ[(١)] حساما مرهفا
ويرينا الحبلَ فى تخييله   ساعيا فوق الثرى منعطفا
يعجب المرء لسحر وأرى   فيه سحرا عجبا لو أنصفا
شهوةٌ تحدو على إثم فان   قُضى الإثم استحالت أسفا
وإذا ما لاذ بالصبر انثنت   بين جنبيه رَواحا[(٢)] وصفا

نشوة الشعر

قالها وقد رأى شخصاً فى تونس أخذته هزة طرب
عند سماعه قصيدة رائعة ينشدها ذو صوت جميل

هذا الفتى ثَمِل فقل لنديمه   أتلوت شعراً أم أدرت إسلافا
هات الذى رقّت حواشى طبعه   وأدر من الشعر الأنيق قحافا[(٣)]
تأخذه نشوة طافح من خمرة   تدع الرواسى كالرياش خفافا[(٤)]
ولربما أبصرته مترنحا   ومصفقا أعيا اللَّهاة هتافا[(٥)]

التلميذ العاق

بسطتَ شعاعَ علمك فى نفوس   تسوق إليك ما اسطاعت حُتوفا
كذا الأقمارُ تكسو الأرضَ نورا   ولولا الأرض مالقيتْ خسوفا

---

(١) المقرعة : لأنه يخلط اللحم بالعظم
(٢) وجدانك السرور الحادث من اليقين
(٣) الأنيق : الحسن المعجب . والقحاف جمع قحْف : من أوانى الخمر
(٤) طافح : ملآن . والرواسى يريد بها الجبال
(٥) مترنحا : متمايلا من السكر . واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق ، يريد اجتهد فى الهتاف حتى أتعب حلقه

معلم الكشاف

حضنتكَ ذاتُ قَوادم وخوافى قنعتْ بقُوت فى الحياة كَفافِ

تحنو عليكَ وما درت من ذا الذى أوحىٰ اليها بالحنوّ الضافى

حتى سرىٰ فى جسمك الرُّوحُ الذى خلّاكَ تَطرحُ بالسياج الجافى

بارحتَ قيضا(١) كنتَ فيه مُحجَّبا فاللؤلؤ المكنون فى أصداف

ألفيتَ بيتا لا بساطَ به سوىٰ لقطاتِ عصف كالرياش خفاف

فجثمتَ لا مستحنيا فرشا ولا مستوحشا من قلة الألّاف

ووقفتَ حول الوكر ترقبُ أوْبةً من ذات طوق تغتدى وتوافى

تُوليكَ إسعافا ورفقا والذى سوّاكَ ربُّ الرفق والإسعاف

رفعتكَ حكمته الى طور أبىٰ لك أن تظلّ غنيمةَ الخطّاف

راشتْ جناحكَ فانتضيتَ عزيمةً وعلوت تكشفُ عن قرىً وفيافى

لو أنصفوكَ دَعَوْكَ فيما بينهم يوم الفخار : مُعلِّم الكشاف

منار بشاطىء نابلى

قال هذين البيتين عند رسو السفينة بشاطىء نابلى وهو عائد من الأستانة الى تونس سنة ١٣٣٠

كأن منارا لاح فى فحمة الدجى ومنظره المحمرُّ يبدو ويختفى

حشاً تقذف الأشواقُ فيه بجذوة وآونة يرجو الوصال فتنطفى(٢)

---

(١) القيض : القشرة العليا اليابسة للبيضة

(٢) الجذوة ـ مثلثة الجيم ـ : الجمرة

حرف القاف

ذكرى المولد

قيلت فى احتفال جمعية الهداية الاسلامية
بذكرى المولد النبوى الشريف سنة ١٣٥٩

أَمِنْ خَفَقانِ أفئدةٍ رِقاقِ تألَّقَتِ المدامعُ فى المآقى
إذا أهدتْ يدُ الإقبال بُشرى تلقتها الضمائرُ باختفاق (١)
كما اهتزت غصونٌ لاعبتها جنوبٌ باعتناق وانطلاق (٢)
وأرشفها الربيعُ ندىً فطابت رُباها لاصطباح واغتباق
لليلتنا الفخار إذا الليالى تباهتْ بالمحاسن والمراقى (٣)
أشارت بالمَغيب على ذُكاء وجاءت بالكواكب فى اتساق
ومدَّت فى السماء البدرَ كفًّا تدير الأنسَ بالكأس الدهاق
ولو أرختْ ذُؤابتها لقلنا خذوا هذا السوادَ إلى الحداق (٤)
ذكرنا إذ تقلَّدتِ المعالى حساما قد تهيَّأ لامتشاق

---

(١) باختفاق أى خفقان ، من شدة السرور . والضمائر : القلوب

(٢) جنوب يريد الريح التى تخالف الشمال

(٣) المراقى : جمع المرْقاة ، وهى الدرجة . والأنسب بالمعنى أن تكون جمع المرقى بمعنى الرُّقىّ

(٤) عدَّى خذوا بإلى لتضمينه معنى ضُمُّوا أو أضيفوا . والحِداق : جمع الحدَقة

ذكرنا كيف لاح جبينُ طـه وهبَّ الفجر يؤذِنُ بانبثاق
كأنَّ الفجر والميـلاد جاءا لإجـلاء الظلام على اتفاق

* * *

ألا مَن مبلغ قمراً توارى وساطع نوره فى الناس باق
سلاما كالصَّبا مرَّت بروض ولاقتها الـكمائمُ بانفتاق (١)
أرومُ مديحـه و إخال أنى سأحظى منه بالسيل الدُّفاق (٢)
فيبهرنى علاه كأن فـكرى توثَّب وهو مشدود الوَثاق
تملَّى نورَه صحبٌ فأغنوْا غَناء النجم فى الظُّلَم الصِّفاق (٣)
نفوس أخْصَبتْ هدْيا وأدنت إلى الدنيا جَنىً عذب المذاق
تحلَّت بالمـكارم وهى أغلى من الحلى المخبَّأ فى الحقاق
وتؤثر غيرها بالزاد زاهداً وتقنع فى المعيشة بالرِّماق (٤)
ولا ترضىٰ إذا خُطبت خصالُ الـ ـعلا إلاّ بغالية الصَّداق
سَرَاةٌ أحـكموا الإصلاح علماً وهبُّوا للجهاد على وفاق (٥)

---

(١) الـكمائم : واحدها الـكمامة ، وهى غطاء النَّوْر
(٢) السيل الدُّفاق : الغزير الذى يملأ جَنبَى الوادى
(٣) الصفاق : جمع الصفيقة وهى الـكثيفة
(٤) الرماق من العيش : القليل الذى يمسك الحياة
(٥) سراة القوم : خيارهم . ويرى بعض العلماء أنه جمع سَرِىّ للشريف الـكريم ، وبعضهم أنه اسم جمع . ويرى السهيلى أن الأصل فى السراة يقال لأعلى كل شيء ، تقول : سراة الفرس تريد ظهره ، وقيل لخيار القوم سراتهم كما يقال : هم كاهل القوم وذروتهم ، وكما أنه لا يقال فى الـكاهل والذروة أنه جمع أو اسم جمع فـكذلك السراة ، وقد أيد رأيه أنه يقال فى جمع السراة سرَوات . انظر الروض الأنف ج ٢ ص ١١٦

دَعوا والحجةُ الغراء تَهدى إلى سبل الحقائق مَن تُلاقى
وناصَبهم خصومُ الحق حربا فلاذوا بالمثقَّفة الرقاق (١)
وهل يجدى الأصمَّ بيانُ قُس وهل يشفى أخا الأموات راق
فكم شرعوا الأسنة فى كفاح وكم ملئوا الأعِنَّة فى سباق (٢)
وإن قاموا قُنُوتا لم يقاسُوا بغير ملائك السبع الطباق (٣)
همُ الأعلام إن طمحت نفوس إلى علياء واسعة النطاق
ولا أدرى أقومى فى سُبات فأرجو صحوَهم أم فى سياق (٤)
فأشياعُ الضلال اليوم صالوا بألسنة وأقلام حِماق (٥)
وهم ما بين إلحاد وقاح وإلحاد تقنَّع بالنفاق (٦)
وإنْ شؤُم النعاق فما أزاغوا به الفتيات أشأم من نعاق (٧)
فمن قصص تعاطى قارئيها شرابا دِيف بالسم الزُّعاق (٨)

---

(١) يريد بالمثقفة الرقاق : الرماح المرهفة

(٢) ملئوا الاعنة : أى جهدوا الخيل عدْواً . يقال ملأت عنان الفرس : بلغت به مجهوده فى الُحضْر

(٣) القنوت : الطاعة والقيام فى الصلاة . والسبع الطباق : هى السماوات السبع لمطابقة بعضها بعضا

(٤) فى سبات أى فى نوم . وفى سياق . يقال : ساق المريض سياقا : شرع فى نزع الروح

(٥) حماق : جمع أحمق

(٦) وقاح : أى وقِح

(٧) النعاق : صياح الغراب ، والعرب تتشاءم به .

(٨) ديف : أى ُخلط

ومن صورٍ تثير هوىً وتحدو نفوساً كالبدور إلى محاق[(١)]

أما لشباب أحمد أن يذودوا خطوبا كالمطاعن فى التراقى[(٢)]

ويرموا للسيادة عن قِسِىّ من الإيمان والتقوى رِشاق

كفى ما قد خسرنا من شباب رأوا سُوق الخلاعة فى نَفاق

فغادوها ، وكيف ترى فراشا تهافتَ فى لظى النار الحراق[(٣)]

وما للنفس إن ركبت هواها وحطّت فى المجانة من خَلاق[(٤)]

هى الشكوى يردِّدُها لسان وما بين الجوانح فى احتراق

* * *

ولقد ذكرتك

قالها فى دمشق مجاراة لمن نظموا على هذا الأسلوب

ولقد ذكرتك فى الدجى والجند قد ضربوا على دار القضاء نطاقا

وقضاة حرب أرهفوا أسماعهم وصدورهم تغلى علىّ حناقا

والمدّعى يغرى القضاة بمصرعى ويرى معاناتى الدفاع سياقا

أتروع أهوال المنون متيما جرّعته بعد الوصال فراقا

---

(١) المحاق : آخر الشهر القمرى حيث تشتد الظلمة

(٢) التراقى : واحدها الترقوة ، وهى مقدّم الحلق فى أعلى الصدر حيث يترقى النفس

(٣) النار الحراق : النار التى لا تبقى شيئاً

(٤) حطت فى المجانة : اندفعت فيها ، يقال : حطت الناقة فى سيرها إذا أسرعت واستمرّت . وقوله : من خلاق أى حظ من الخير

لم أُضع للود حقا

أتنسمتَ الصبا من « حاجرِ » حادىَ الأَينُقِ أم شمت بُروقه (١)
عُجْ به نشفِ بملقى جيرة ضربوا الخيم (٢) به نفسا مَشوقه
وإذا ما عاقنا بطء السُّرى عن صبوح الوصل أدركنا غبوقه
هاهنا مرتعُهم ، خذ بيدى ودع الأينق فى الروض طليقه
طال بى البينُ إلى أن أطفأتْ نظرةٌ من ساكنى البان حريقه
يا بدوراً حسنُها ابتزّ (٣) النهى وهواها مدَّ فى القلب عروقه
عادتِ الأيامُ من هجرانكم لىَ خصما بعد أن كانت صديقه
من دجىً يقضيه جَفنى أرقا وضحىً يُلبسه الليل غُسوقه
وكفى جسمى نحولا أن تخالوه كالطيف خيالا لا حقيقه
لم أُضع للودّ حقا ، أفما حان أن يرعى الأخلاء حقوقه

أنت ريحانة الحياة

قالها عقب وداع أحد أصدقائه

قلتُ إذ همَّ صاحبى برحيل اتذيق الحشا عذاب الحريق
أنتَ ريحانة الحياة إذا ما غبتَ عن ناظرى غصصتُ بريقى (٤)
فابق للأنس واترك البينَ يحدو بالأعادى إلى مكان سحيق

---

(١) الأينق : جمع ناقة . وشمت البرق : نظرت إليه أين يقصد وأين يمطر
(٢) جمع خيمة . هى البيت المستدير أو كل بيت يبنى من عيدان الشجر
(٣) ابتز : أخذ بقهر (٤) غصصت بريقى ، يقال غص بريقه أى ضجر

الصداقة هى « الرتيمة »

كان فضيلة الأستاذ صاحب الديوان مقيما فى دمشق سنة ١٣٣٨ وعزم على الارتحال منها إلى تونس[١] ، فكتب إليه سعادة الأستاذ الجليل السيد خليل مردم بك وزير خارجية سوريا ورئيس المجمع العلمى بها لهذا العهد كتابا رقيقاً قال فيه :

« إن من خير ما أثبته فى سجل حياتى ، وأشكر الله عليه ، معرفتى إلى الأستاذ الجليل السيد محمد الخضر التونسى وإخوانه الفضلاء وصحبتى لهم ، فقد صحبت الأستاذ عدة سنين رأيته فيها الانسان الكامل الذى لا تغيره الأحداث والطوارىء ، فما زلت أغبط نفسى على ظفرها بهذا الكنز الثمين حتى فاجأنى خبر رحلته عن هذه الديار فتراءت لى حقيقة المثل « بقدر سرور التواصل ، تكون حسرة التفاصل » .

ثم أتبع الخطاب بقصيدة بديعة جعلها « رتيمة » له وذكرى[٢] قال فى مطلعها :

طَيفٌ لِلَمْياءَ ما ينفكُّ يبعث لى ... فى آخر الليل إن هومت أشجانا

يغرى الدموعَ بأجفان مسهَّدة ... من حيث يُورِى على الاحشاء نيرانا

فلو ترانى وأمرُ الليل مجتمع ... مشتَّتُ الرأى إثْرَ الطيف حيرانا

حسبتنى مُطفِلا قد ضلَّ واحدها ... عنها فطبَّقتِ الآفاق تحنانا

إلى أن قال :

أكاد أقضى جوًى والدار جامعة ... فكيف حالى إذا وقتُ النوى حانا

فأجابه فضيلة الاستاذ بهذه القصيدة :

---

(١) ثم عدل عن السفر الى تونس ، واقتضى الحال مجيئه الى مصر

(٢) الرتيمة : خيط يعقد فى الأصبع للتذكير . والمراد بها ما يعين على التذكر

ما النجمُ تجرى به الأفلاك فى غسقٍ كالدر تقذفه الأقلامُ فى نسقِ
لقد سلوتُ محيّا البدر إذ طلعت عقيلةُ الطرس والأجفانُ فى أرق
وكنت أرشف من جدوى بلاغتها راحاً فيهدأُ ما فى الجأش من قلق
تخشى إذا أفصحتْ عما توهَّج من حماسة أن تشب النار فى الورق
فألبستْهـا أساليبَ النسيب ، وكم ذاق الحشا لوعةً من ناعس الحدق
هى « الرتيمة » فيما قال مبدعهـا وهل يغيب السنا عن طلعة الفلق
إنى على ثقة من أن ذكركَ لا ينفكُّ مرتسما فى النفس كالخُلق
وكيف أنسى (خليلا) قد تضوّع فى حُشاشتى ودُّه كالعنبر العبق
وفى الورَى خزفٌ لـكن تبرّج فى نضارة الذهب الصافى أو الورق
ولو عصرتَ بـكفِّ النقد مهجته لما تقاطر غيرُ الضغن والملق

☆ ☆

لا عتبَ إن ضاق باعى فى القريض فلم
يُضىء كما ضاءتِ الجوزاء فى الأفق
فان إحساسىَ الشِّعْرىَّ أوشكَ أن
يجود بالنفَس الأقصىٰ من الرمق
لم تُبق لى حادثاتُ الدهر منه سوى
أثارةٍ كبقايا الشمس فى الشفق

صرخة المغرب

يصرخ المغربُ غيظاً واحتراقا صرخة الناهض للموت اشتياقا

لا تلوموه إذا خاض الوغيْ ورأيتم دمه الغضَّ مُراقا

هو يلتذُّ الردَى إذ يسكب الضيمُ في أكؤسه ماءً زُعاقا(١)

أوفد الشرقُ رجالا طبقوا أرضه رشداً وعلماً ووفاقا

فانبرَى يسمو بجنب الشرق في هِمم تستشرفُ(٢) السبع الطباقا

شاد بالعرفان والعدل علاً عقدت من أدب الدين نطاقا

واقتنى للذَّود عن ساحتها مُرهَفاتِ البيض والخيلَ العتاقا

وجرى الإصلاح في آفاقه نازفاً(٣) أسقامه حتى أفاقا(٤)

يحسب الوافدُ بدءاً أنه جاء أرضَ الشام أو وافى العراقا

أمةٌ أودَعتِ التاريخَ ما بهر الاحفادَ من فخر وراقا

وصل الاحفادَ مجداً تالداً بطريف فازدَهى المجدُ اتساقا

راعهم جند غريب حلَّ في أرضهم يخترط البيضَ الرقاقا(٥)

حسب البغىَ عليهم خمرة فتعاطاه اصطباحاً واغتباقا

---

(١) مر لا يطاق شربه

(٢) استشرف الشيء : رفع رأسه ينظر إليه

(٣) مزيلا : من نزف ماء البحر إذا نزحه كله

(٤) افاق من مرضه إذا رجعت الصحة له

(٥) البيض الرقاق : السيوف . ويقال اخترط السيف : استله

ذكروا عهدَ العلا والُحرُّ مَن يذكر العهد حِفاظا وصداقا(١)
نهضوا نهض أسود الغاب لا يعرفون الدهر للذُّعْر مذاقا
ظلت الحربُ سجالا حقْبة لم ينم فيهـا الفريقان فواقا(٢)
أىُّ حرب وضعت أوزارها أىُّ أمن مدَّ فى الأرض رواقا(٣)
بين أيدٍ أمعنت فى عسفهـا وقلوبٍ ملئت منه حناقا(٤)

* * *

يسفك البـاغى دماءً ذنبها أنها تغلى إذا شدَّ الخناقا
وطغىٰ فى الأرض حتى إنه همَّ بالدين خُسوفا أو محاقا
ينصب الأشراكَ كى يصرف عن حكمة الله قـلوباً وحداقا
لاذ بالتجنيس(٥) والقومُ أبوا خوف أن يَصْلوا به النارالحراقا(٦)
وبنو المغرب عربٌ شِيَماً ولساناً ، لا ادعاءً واختلاقا
شاد دون الشرق سدًّا فغدا وصْلُ ما بين الشقيقين افتراقا
يلذع الاكباد بالمُرِّ وقـد يلمس الآذان بالحلو نفاقا
أمَّةٌ أعهـدها تحنو على سانح الآراء تبغيه عتاقا(٧)

---

(١) إخلاصاً : من صادقته المودة والنصيحة أى اخلصتهما
(٢) الفترة بين الحلبتين
(٣) الرواق : الخيمة ، ويقال : مد رواقه إذا نزل واطمأن
(٤) جمع حنق وهو الغيظ الشديد
(٥) فتح باب التجنيس بالجنسية الفرنسية
(٦) التى لا تبقى على شىء
(٧) تطلب له الحرية . ويراد بالامة أمة الغرب الاسلامية

فاسألوا أقلامهـا ما خطهـا تتمشَّى فى القراطيس رقاقا(١)

أيها الدائب فى تثبيطهـا وشعوبٌ دونهـا حازوا السباقا

قوِّض السدَّ الذى شيدته قبل أن يجتابه(٢) القوم اختراقا

خذ إلى صدرك كفيك ودع خيلها تعدو إلى المجد انطلاقا

وقلِ الفصلَ إذا حدَّثتها فالرياء اليوم لا يلقى نَفاقا

أنت تبغيهـا خمولا وإذا أهَّبت للصيت(٣) ضاعفت الوثاقا

من عذولى إن أنا مجَّدتها يوم تجتاح قيوداً ورباقا(٤)

عدو الملق

جيرةٌ كاتمتهم ودِّى وما كتمُ ودى قبلهم من خُلُقي

إنما باح به جفن جرى ساعة البين بدمع غدَق(٥)

مَن عذيرى إن انا ودعتهم بمآق كالجهام المملق(٦)

وانثنوا بعد النوى يغريهم باللقا أنى عـــدو الملق

فجلت طلعتهم(٧) ما خلَّفوا من تباريح الأسىٰ والارق

مثلمـا يجلو بدورٌ ظلمةً ضرب الليلُ بها فى الافق(٨)

---

(١) جمع رقيق ضد الحر (٢) يقطعه

(٣) أهبت : اخذت الأهبة . والصيت : الذكر الحسن

(٤) جمع ربق وهو الحبل فيه عدة عرى يشد به البهم

(٥) غدق : كثير (٦) سحاب لا ماء فيه

(٧) طلعتهم : رؤيتهم . يقال حيـّا الله طلعتك أى رؤيتك

(٨) ضرب الليل بها أى اثبتها ، من قولهم : ضرب الخيمة . وضمن ضرب معنى ألتى فعداه بالباء

عند ينبوع زغوان

زغوان : جبل قريب من مدينة تونس به عين دافقة يجرى ماؤها فى أنابيب تحت الأرض إلى مدينة تونس وحول هذه العين قرية تسمى زغوان ، وكنت زرتها سنة ١٣٣١ وصعدت أعلى الجبل الذى يتفجر منه الماء ، وهنالك نظمت البيتين

رَوَينا عن الماء المَعين بتونس
أحاديثَ عن ينبوع زغوان رائقه
وخالجنى ريبٌ إلى أن عرضتها
على السنَد العالى فكانت مطابقه (١)



يا قطار

قيلت عند مسير القطار بعد وداع الأهل بدمشق مسافرا إلى الآستانة سنة ١٣٣٤

أردِّد أنفاساً كذات الوقود إذ رمتنى من البين المُشتِّ رَواشقُ
وما أنت مثلى ياقطار وإن نأى بك السير تغشى بلدة وتفارق
فما لك تلقى زفرة بعد زفرة وشملك إذ تطوى الفلا متناسق

---

(١) يريد بالسند ما ارتفع من الجبل عن السفح ، وفيه تورية بالسند فى الحديث وهو طريق المتن أو هو رواة الحديث ، والعالى منه ما قلت رجاله

حرف الكاف

الخلافة والانقلاب التركى

قالها بمناسبة إلغاء «أتاتورك» للخلافة
وإعلانه أن الحكومة لا دينية سنة ١٩٢٢

ما خَطبُ قوم ـ طالما وصلوكِ ... واعتزَّ باسمك عرشُهم ـ هجروكِ
حرسوكِ أحقابا وحلّق صيتهم ... فى الخافقين لأنهم حرسوك(١)
كنتِ الوقار على وجوه غزاتهم ... والأمن إن نظروا بعين ضحوك
كنت البطولة تزدرى نار الوغى ... والنصرَ يعقد بالقنا المشبوك(٢)
ما زلتِ سِمط قلادة خرزاتُها ... أممٌ بأغلى فِدْية تفديك(٣)
تصبو إلى دستورك(٤) الاحرارُ إذ ... يضع المليكَ بجانب المملوك
وزَنَ الحقوق فما الثرىُّ براجح ... فى حكمه يوماً على الصُّعلوك
حتى تحكَّم فيه رهط بدَّلوا ... خَبَثَ الحديد بعسجد مسبوك
نزغاتُ وَسواسٍ تخبّطِهم فما ... لبثوا أنِ اغترُّوا بوحى أفوك(٥)
حازوا مناصبَ أفرغوا سلطانها ... فيما يَميد بصرحك المسموك(٦)

---

(١) الاحقاب : واحدها حقب ، ومن معانيه الدهر والسنون
(٢) المشبوك : المخلوط بعضه ببعض . يريد اشتباك الرماح واتصالها من كثرتها
(٣) سمط القلادة : الخيط الذى ينظم فيه خرزاتها
(٤) الشرع الاسلامى
(٥) كاذب : أعنى الشيطان
(٦) المرفوع : من سمكه أى رفعه

فكثوا بما نقضوه من لبناته عهْدَ الرسول وأغضبوا أهليك
هذا النشوز على الشريعة مؤذنٌ بغروب شمسك بعد طول سموك(١)

✡ ✡ ✡

هاج الشقاقُ وفتَّ فى غُلَوائه عضدَ اتحاد شعوبك المنهوك(٢)
أورى الزنادَ كما يقال عصابةٌ فى الغرب خلف ستارها المهتوك
زاد اللظى حطبا هوىً قومية غشىَ القلوبَ برجفة الموعوك(٣)
عبر الخصوم « الدَّرْدَنيل » بُعَيْد ما كُسِيتْ شواطىء بالدم المسفوك
هبطوا « فرُوقَ » وقصر « يلدز » مطرق وقلاعها بصُماتها ترثيك(٤)
لولا اختلاف مطامع لم يُقلعوا منها ولو فُديتْ بكل نسيك(٥)
ولسُرعَ ما نهضت برهطٍ عزمة بارت بسهم فى الخطار وشيك(٦)

---

(١) ارتفاع . من سمك أى ارتفع

(٢) فتَّ عضده : أوهن منه وأضعف . وقوله فى غلوائه أى حميّة الشقاق وسورته

(٣) القومية أن ينتمى كل فريق من المسلمين إلى بلده وإقليمه وصنفه ، وينسى لحمة الدين . وقد كان هذا سبب ضعف المسلمين وذهاب ريحهم . ونُعرَة القومية من قبيل الاعتزاء بدعوة الجاهلية وانتسابهم إلى آبائهم وقبائلهم ، وقد حذر الشارع الحكيم منها أيما تحذير

(٤) فروق : استانبول . ويلدز : قصر بالآستانة كان يقيم به الخلفاء

(٥) الذهب . وقوله : لولا اختلاف مطامع يريد أن الحلفاء الذين احتلوا استنبول دب بينهم الاختلاف والطمع فكان ذلك عونا على خروجهم

(٦) سريع

هى عزمة قومية لكنهـا ملفوفة بردائك المنسوك[١]
نادوا « بأنقرة » النفير وأثخنوا فى جند من دخلوا بزىّ شريك[٢]
زحفوا ولا أدرى سريرة قائد[٣] فذكرتُ جند الله فى اليرموك[٤]
رحل الطغاةُ وحلَّ استنبولَ مَن صدَحت له الاقلام بالتبريك[٥]
قالوا تنقذها بفضل شهـامة من بعد ما أشفت على تُهلوك
ناطوا به أمل النهوض بدولة رمت الثرى بجناحها المفـكوك
نهض الزعيم وما رعىٰ عهد التى[٦] لولا اسمها ما صال صول ملوك
برح الخفـاء وحاد وهو مظفر نشوان عن منهاجها المسلوك
عذروه إذ أقصى الخلافة جانباً ومحا اسمها ليزيل غينَ شكوك[٧]
ما بال قسطاس الشريعة ضاع فى أفق السياسة ضيعة المتروك
والقومُ قوم « محمد » إن زُحزحوا عن هذه اقتحموا شعاب النُّوك[٨]
وهداه حصن لا أريكةُ مُترف وزئير ليث لا صياح ديوك



(١) الطاهر
(٢) اليونان والايطاليون
(٣) أعنى ما كان يضمره « أتاتورك » من إلغاء الخلافة وجعل الحكومة لادينية
(٤) بلد بالشام فتحت بقيادة خالد بن الوليد
(٥) الدعاء بالبركة
(٦) الشريعة الاسلامية
(٧) ما كان يخالط دول الغرب من سوء الظن بدول الخلافة
(٨) جمع أنوك وهو ضعيف العقل

على ضريح صلاح الدين

قالها بمناسبة زيارته لضريح المجاهد العظيم السلطان
صلاح الدين الأيوبى فى دمشق سنة ١٣٦٣

لو لم تبلِّغْك الحياة مُنا كا — لـكـفاك أنك قد قهرت عدا كا
لك سيرة كادت تمثّل للنهى — بشراً ينافس فى العلا أملا كا (١)
ومفاخر يوم استغاث الشرق من — خطرٍ ألمَّ ولم يُجِـره سوا كا
صرخوا النفير وأطمعوا أحشادهم — فى ثلِّ عرشك واقتحام حما كا
حمـلوا الصوارم والقنا بحماسة — وأتوا ميادين القتال وشا كا (٢)
قلتَ «الجهادَ» فماج حول لوائك السامى فيالقُ — لا تهاب عِرا كا
ولقيتَهم بعزيمـة لا تنثنى — والرأى نبراس يؤم خُطا كا
وإذا البطولة عُززت بدراية — كانت لإنقاد الشعوب مِلا كا (٣)
عادوا بخيبة آمل وتملأت — من مجتنَى النصر المبين يدا كا
عادوا ولم يُخلد بهم وَهْن إلى — يأس وظلوا يفتلون شبا كا
حتى إذا أخذ الـكرى بجفوننا — زحفوا وما لا قوا قنا كفنا كا
أوَما سمعت رطانة (٤) الافرنج من — حول الضريح تخوض فى ذ كرا كا
وكأننى بكَ قد هممتَ بوثبة الـ — أسد الهَصُور لو استطعتَ حرا كا

---

(١) الأملاك جمع الملك
(٢) جمع وشيك
(٣) قواما
(٤) الرطانة : الـكلام بالأعجمية

جاسوا المدائنَ والقفارَ وأرصدوا   فى كل واد غاشماً فتّاكا(١)
ياليتنى أدرى ومثلك يُقتدَى   بمثاله بين الورى ويُحاكى
أيُتاح للشرق المعذَّب ذائدٌ   يرمى ويبلغ فى النضال مَداكا

السواك

قالها بمناسبة مذاكرة أدبية انجرَّ فيها قول مهيار :
* يغتدى مسواكُها ريحانة بعد السواك *

بدا الثغرُ النضيد وقد حنوتِ
بَنانًا كاللُجَين على سواك
ولو ندّاه ريقك وهو شهد
ولاقى ثغرَ مخلوق سواك
لقال على البديهة : هل سمعتم
خلايا الشهد تدعى بالأراك

ثلْجٌ فى السَّحَر

قيلت فى برلين سنة ١٣٣٧

تطاول هذا الليل والجو مُزْبد   تضيق بأمواج الثلوج مسالكهْ
كأنى أذيبُ الصبح بالحدق التى   يقلبها وجدى وتلك سبائكه

(١) أرصدوا : أعدوا . وفتاكا : جريئا

طِباب الشرق

يدُ المحتلِّ تسعدُنا على أن · نروضَ الفكر بالسهر الدِّراك[١]
ونوقظَ للعظائم رُمحَ عمرو · إذا أزرى بنا رمحُ السماك[٢]
يثير ببغيه في كل يوم · حفائظَ مُضطَهدٍ وصُراخ شاكى[٣]
يقول : أُجير قومَك من هلاك · ورفعُ لوائه عينُ الهلاك
يُوارب[٤] إذ يعاهدنا مُسِرًّا · مآربَ فى دهاء واحتباك[٥]
عهودٌ إن توسمها أريب · رأى الغرْبان تنعب فى صِكاك[٦]
فما للشرق يرسف فى وَثاق · وهذا الغرب يمرح فى فِكاك
هما شطران فى بيت ، وبُعداً · لشعر غير ملتئم الحياك[٧]
طِبابُ الشرق فى خطرات شهم · وجمرِ حماسةٍ فى القلب ذاكى[٨]

---

(١) المتتابع (٢) فى السماء سماكان : السماك الرامح ، وهو نجم نير يقدمه كوكب يقولون هو رمحه . وهو هنا كناية عن الرماح التى تحمل ولا تستعمل فى قتال العدو . والسماك الأعزل ، وهو نجم نير مثله وليس حوله من الكواكب ما يشبه بالرمح . ورمح عمرو يريد رمح عمرو بن معديكرب الزُّبيدىّ ، وكان له رمح وسيف يحسن استعمالهما ويضرب المثل بهما ، وإن كانت الشهرة لسيفه الصمصامة ، وفيهما يقول :

سناني ما حق لا عيب فيه · وصمصامى يصم إلى العظام

وانظر ثمار القلوب ص ٤٩٧

(٣) الحفائظ : جمع حفيظة ، وهى الحمية والغضب عند هتك الحرمة . والمضهد المقهور . والصراخ : صوت المستغيث (٤) يوارب : يخاتل
(٥) احتباك : اتقان (٦) جمع صك وهو الكتاب
(٧) الحياك : النسيج
(٨) طباب الشىء : دواؤه الذى يُطبُّ به . والذاكى : المتقد

رثاء

نظم صاحب الديوان هذه القصيدة فى رثاء زوجه السابقة التى انتقلت الى رحمة الله فى العام الماضى بعد حياة حافلة بالمثل العليا لخير ما يبغيه زوج من زوجه، ومهما قيل فى وصف أخلاق هذه السيدة البارة فلن يكون أبلغ مما جاء فى هذه المرثية . رحمها الله رحمة واسعة وجعل سيرتها قدوة حسنة للزوجات

أعاذل غضَّ الطرْفَ عن جفنىَ الباكى ... فخطبٌ رمىٰ الأكبادَ منى بأشواك
ولى جارة أودى بها سَقَمٌ الى ... نوًى دون منآها المحيط بأفلاك
أيا جارتا عهدُ اللقاء قد انقضى ... وصمتك إذ أدعوك آخر ملقاك
أجارة هذا طائرُ الموت حائمٌ ... ليذهبَ من زهر الحياة بمجناك
وكيف يرومُ الصحبُ منى تصبرا ... ومركبةٌ حدباء أرست بمِيناك
وكنت ألاقى كلما جئتُ مؤنسا ... فما لى ألاقى اليوم صيحة منعاك
حنانيْكِ هل ساءتكِ منى خليقةٌ ... فأنكرت دنيانا وآثرت أخراك
وكنتُ أعزى النفسَ من قبلُ أننى ... أفوت قريرَ المقلتين بمحياك
ولم أدر ما طعم المنون فذقتُه ... مساء لفظتِ الروحَ والعينُ ترعاك
هوىٰ بك بينٌ لست أرجو وراءه ... زمانا يجود الدهرُ فيه بمرآك
فهيهات ان أنساك ماعشت والاسى ... يموج بقلبى ما جرت فيه ذكراك
وهيهات لا أنسى مواطن كنتِ لى ... مسليةً لا أنس إلا بمغناك
ولولاكِ لم أقضِ اليراعةَ حقها ... كأن نسيجَ الفكر حيك بيمناك
لقد صنتِ فى الحالين عهداً فلا أرى ... لدىٰ عُسرة إلا انطلاقَ مُحيّاك
وانتِ التى حببتِ لى العيشَ بعدما ... سئمتُ فطيبُ العيش بعضُ مزاياك

وان سامنى يوم شكاة تدفقت دموعك من جفن يخال هو الشاكى
يجافى الكرى عينى إذا مسَّكِ الضنى ويرتاح ما بين الحنايا لمنجاك
تمر بنا الأيام موصولة المنى فما ضرنا ألا نكون كأملاك
لياليكِ أيامٌ بمنزلة اللوى ومطلعُ أقمار السماء بمأواك
اجارة لو شاهدت كيف وقفت فى مزارك لكن ما ظفرت بنجواك
إذاً لرأيت الحزن يَصلى بناره حشاً وكأن الحزن شُدَّ بأسلاك
وعدتُ الى البيت الكئيبِ كأننى خُلقت فريدا لستُ أعرف إلاك
أغصُّ بشجوٍ كلما مرَّ موضع حللت به ، والنفس مِرآة سيماك
ويبعث أشجانى هديرُ حمامة تنوح كأن الطير فى الجوّ تنعاك
أجول بفكرى أبتغى لىَ قربة أمتُّ بها عند الدعاء برحماك
تجرعت مر الصبر على أراه فى حسابى ، وعقباىَ السليمةُ عقباك
فطوبى لكِ القربى لدى الله منة ونزلٌ كريم فى منازل نسّاك



ليتنى ما عرفتك

قالها بعد وداع ربة منزله فى تونس قاصداً الشرق
سنة ١٣٣١

جارتى منذ ضحوة العمر عذرا لأخى خطرة (١) نأى عنه بيتُكْ
قال يوم الوداع وهو يعانى سكرةَ البين : ليتنى ما عرفتك

---

(١) الخطرة : ما يتحرك فى القلب من رأى أو معنى . والمراد همة الرحيل إلى الشرق

حرف اللام

صقر قريش

أو عبد الرحمن الداخل

خَلِّ نفسَ الحُرِّ تصلىٰ النُّوَبا لاتبالى
ليستِ الأخطارُ إلا سببا للمعالى

*

يا مكبّاً بين ظبى أدعجا ومَهاة
إنما الهمةُ فى حجر الحِجا كالنبات
أفلا تذبل إذ تقضى الدجىٰ فى سُبات
فاذا بتّ تجارى الكوكبا فى مجال
كنت كالضرغام يمشى الهيدبى(١) للنزال

*

ما لهذى السَّمْهَرِيَّات فخارْ فى الحرابْ
غير عزم هزه حامى الذمار بالتهاب
أترى الرامح(٢) ذا قلب يغار فيُهاب

(١) الهيدبى : ضرب من مشى الخيل فيه جدّ
(٢) الرامح والأعزل : نجمان يسمى أحدهما السماك الرامح والآخر السماك الأعزل

جرَّ فى الآفاق رمحاً سَلْهبا(١) باختيال
وهو كالأعزل لا يلقىٰ الظُّبا والعوالى

*

رُبَّ كنٍّ لا نسميه عَرينا فى البيان
والذى يحميه لا يلوى جبينا عن طعان
يحطمُ الطاغىَ لا يبقى مهينا فى هوان
وهِزَبْرُ الغاب يعدو خَبَباً فى الدِّغال
عضَّه الجوع فقدَّ المِخلبا لاغتيال

*

عاشقَ العلياء خُضْ فى لجج من رماحْ
وترشَّفْ من عصير المهج لاجُناح
يضحك الملك بثغرٍ بهج كالصَّباح
إن نكىٰ الخصم فماجوا هربا كالثعالى(٢)
وابتغاء السلم من بانى الزُّبا كالمحال

*

خاطرُ اليأس لدىٰ باغى العلا غير سائغْ
إن توخَّى عبقرىٌّ أملا فهو بالغ

(١) السلهب : الطويل (٢) جمع ثعالة وهى أنثى الثعلب

وحياةُ الصقر[١] سارت مثلا للنوابغ
إذ بدا فى « دير حنا » وشبا[٢] كالهلال
وليالى الشام فى عهد الصبا كاللآلى

*

ذاق فى الخامس من صدر سِنيه مَضضا
والردى سيف بكفٍّ لا تتيه ينتضى[٣]
أرهف الحدَّ وأودى بأبيه حَرَضا[٤]
هل ذوت زهرته حتى هبا[٥] فى كلال
إن فى نفسٍ تسامتْ حَسبا خيرُ وال

*

---

(١) الصقر : عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك . ولد فى « دير حنا » بالشام سنة١١٣ ، وشهد سنة ١٣٢ المعركة التى فقد فيها الأمويون ملكهم على أيدى بنى عمومتهم العباسيين ، فبلغ به علو الهمة إلى إنشاء ملك جديد لبنى أمية فى الأندلس فلقبه خصمه أبو جعفر المنصور بلقب (صقر قريش)

(٢) شبا أى نما وترعرع . يقال شبا الشجر : طال والتفَّ نعمة

(٣) لا تتيه : لا تتحير ولا تضل

(٤) أرهف الحدّ : فاعل أرهف ضمير الروى فى البيت قبله . وحرضا : نزل به الهلاك أو بلغ منه الحزن والهم . وهو حال من « أبيه »

(٥) هبا : هلك ومات

أبصر الجَدُّ به روحَ الهمام بادياً[1]
كالشذا ينبىء عن زهر الكِمام هاديا
وتريك الشمسُ فى قوس الغمام ماهيا
حفه عطفاً كما تسرى الصَّبا باعتلال
ويدٌ ظلَّت تحابى الأنجبا لم تغال

☆

ضربَ الخطبُ على الملك الأثيل محدقا[2]
كم دها السفاحُ من حُرّ نبيل مرهقا[3]
وجرى المنصور فى هذا السبيل مُوبقا
ذهبت عصبته أيدى سبا فى نكال
وتداعى عرشه منتحِبا للزوال

☆

حدَّق الصقرُ برأى لا عجل لا حَسير
وانبرىٰ يطوى الفلا يطوى الأمل فى الضمير
ككمِيّ فرَّ من وقع الأسل ليُغير

---

(١) الجد : هشام بن عبد الملك عاشر خلفاء بنى أمية ، وقد ترعرع عبد الرحمن فى صولته ، وتربى فى ظل حزمه ونعمته

(٢) الملك الأثيل : الدولة الأموية

(٣) هو أبو عبد الله السفاح أول خلفاء الدولة العباسية

عَمِيتْ عنه عيونُ الرُّقبا والموالى
راح كالشمس توأمَّ المغربا بارتحال

✡

جمرةُ الأضغان فى ذاك الوطن لافحهْ[١]
كم قلوب بتباريح الإحَنْ طافحهْ
فرصة ظلت على وجه الزمن سانحه
إنما الفرصة تُدنى الأربا بارتحال
والفتى يرقبها محتسبا لليالى

✡

نفضَ البُرْدَين من نَقْع السفر فى (مليله)[٢]
ما له جند سوى الرأى الأغر والفضيلهْ
بثَّ لُسْناً نفثت نفثَ السحر فى الخميله
دعوة حلَّ لها الشعبُ الُحبا باحتفال
يرتجى عزّاً وعدلا ذهبا فى ضلال

✡

---

(١) تلك كانت حال الاندلس لما هبط عبد الرحمن الداخل بلاد المغرب ، وهو لايحمل غير حجاه وعزيمته

(٢) مليلة : مدينة بالمغرب قريبة من سبتة على ساحل البحر . انظر معجم البلدان

آب (بدرٌ) بفؤاد يتألق كالجمانِ [١]
إذ رمى عن قوس داهٍ وتفوّق في الرهانَ
ورأى غصنَ الأمانى كيف أوْرَق في تدانى
آن للصَّمْصام أن ينتصبا للصقال
ولغالى الدم أن ينسكبا بابتذال

✡

نهض الصقرُ ولا صيدَ سوى تاجِ مُلكِ
يتهادىٰ بعد شجو ونوى بين أيْكِ
يسبك السيرة فى نهج سُوى خيرَ سَبكِ
عَبَر البحر يشقُّ الحَبَبا [٢] فى جلال
أقبل الأبعدُ يتلو الأقربا ويوالى

✡

زجَّ بالجند حوالىْ « قُرْطُبه » فى اتّساق
وغدا يوسف ممَّا كرَبهْ فى خناق [٣]
هو صبٌّ كيف يلوى الرقبهْ للفراق

---

(١) بدر : مولى عبد الرحمن الداخل ، وهو نصيره الوحيد فى رحلته من الشام إلى المغرب

(٢) الحبب : معظم الماء وطرائقه

(٣) يوسف هو ابن عبد الرحمن بن حبيب الفهرى وكان ولى الامر بالاندلس عند دخول عبد الرحمن

هاله الخطبُ غداة اقتربا للقتـال
لاذ بالرأى فأكدىٰ وكبا فى خبال

✡

خال ما نمّق كيداً يرشقه كسهـام
لا يبيع المجدَ شهم يعشقه بالحطـام
لا تُسَلّيه فتـــاة ترمقه بابتسـام
فأراه الصقرُ برقا خُلبا فى المقال
وأراه الأحوذىَّ القلّبـــا بالفعـال

✡

هجم الداخلُ فى وجه الزعيم كائدا
فطوى ما خلفه طىَّ الظليم شاردا
واقتفى آثاره الجيشُ النظيم صائدا
رام « غَرْناطة » يبغى مركبا للنضال
أملٌ أبرق حيناً وخبـا كالذُّبال

✡

أغمـد السيف ومد العُنُقا للسلامْ[1]

---

(١) لما حاصر عبدالرحمن مدينة غرناطة،وهى آخر ما التجأ إليه يوسف الفهرى ، اضطر يوسف إلى الصلح فصالحه على شروط ، منها : وضع ابنيه عند عبد الرحمن رهن إخلاصه الدائم

فأراه الصقرُ عزماً ذلقـا لا ينامْ
أحرز ابنَيْهِ ليأبىٰ الرهقا في الذمام (١)

كان في الناس زعيما فاحتبىٰ باعتزال
لم يطق ـ كالطفل ـ صبرا إذ نبا عن فصال

✡

تبَّ ليل شدَّ فيه المئزرا لا نتقام (٢)
وامتطى رأيا عقيما أغـــبرا كالجهام
ليته ما انسلّ ليلا وانبرىٰ في احتدام (٣)
في مغاني آل هُود وثبا للصيال
هزّ جِذعَ الأمن ألقى الطُّنبا في اختلال

✡

أرهق ابنيه جفاءً وهَفا للرياسهْ
ما تحامىٰ أن يكونا هدفا للسياسهْ

---

(١) أحرز ابنيه ، أي أخذ عبد الرحمن ابني يوسف رهينتين ليضمن وفاء أبيهما بعد الصلح ، والرهق من معانيه الظلم والكذب ، يريد الغدر ونقض الميثاق

(٢) لم تطل ليوسف حياة الراحة ، فنقض العهد سنة ١٤١ بعشرين ألفاً من البربر فالتحق بطليطلة ، إلا أن عبد الرحمن قام له حتى جيء إليه برأسه

(٣) انسلّ : انطلق في الخفاء . والاحتدام : اشتداد الغيظ . يقال احتدم صدره غيظا وتحدم أي تغيظ

ركبت من قتل هذا سرفا في الشراسه
وطوت هــذا ليبقى حقبا في اعتقال
سل به إذ فرّ ماذا ارتكبا من محال

☆

قذفت نارُ الوغى في (مارده) بالشرار[١]
أشرع الصقرُ قناةَ سائده بانتصار
أطلق الفهريُّ رِجلا جاهده في الفرار
لحق الموتُ به واعجبــا للنصال
تُنهض الحتفَ إذا ما نشبا في عقال

☆

بلغ الصقرُ من العزِّ أشُدَّه واستوى
لبس الحزم لمن صاعَرَ خدَّه والتوى
هو لولا بأسه يحرسُ بَنْدَه لانطوى
سار بالأمة شوطاً عجبا في اعتدال
لا يُرى أسرى بهـا أو أوّبا في ملال

☆

بعث العرفانَ من مرْقدِهِ في رُواء

---

(١) ماردة : كورة واسعة من نواحي الأندلس من أعمال قرطبة

وعلت عنق الهدى في عهده كاللواء
ردّتِ الشركَ مواضي جِدِّهِ في انزواء
نفثت في « شرلمانَ » الرّهبا كالسعالى [١]
هابها « المنصور » يخشى الغلبا في السجال

✡

لقىَ العُمرانَ مقصوصَ الجناح خاملا
راشه فانسابَ في تلك البطاح جائلا
يضبط الشكوى كخصر في وشاح عادلا
يمتطي المنبرَ يُلقي خُطبا ذاتَ بال
يقدمُ النـــاسَ إماماً مجتبىٰ بابتهال

رحم الله الفتىٰ أنضىٰ العِتاق في العلا [٢]
وغدا إن عُدَّ فرسانُ السباق أوّلا
شرب الحكمةَ بالكأس الدِّهاق عَللا
عزمهُ كالفجر يفري الغَيْهَبا في تعالى
فهو جنديٌّ سياسيٌّ ربا في كمال

---

(١) السعالى : جمع السعلاة ، وهى الخبيثة من الجن
(٢) العتاق : جمع عتيق ، وهو الفرس الكريم . وأنضى العتاق : أهزلها بالسير

تحية الوطن

قالها أيام مقدمه من الشام الى مصر سنة ١٣٣٩

وقد وضع هذا الموشح فى حرف اللام نظراً الى قافية مطلعه

مالىَ لا ألمح من ذى الجمالْ سوى الخيالْ[1]

ألم يكن يُدنى قطوفَ الوصالْ بلا ملال

الشوقُ ألقى مهجتى فى نضال ماضى النصال

ماذا ترى والهجرُ فيما يقال داءٌ عضال

* * *

يا مَوْطنى لم أنسَ عهدَ الشبابْ عذب الرضاب

وربّما شمَّر يبغى الذهاب صاح الغراب

بنَّا وخُضنا فى غمار الصعاب بلا حساب

بينى و بين المجد عهدٌ يهاب فلا عتاب

* * *

فصَمتَ بى يا بينُ عِقد الرفاق بعد انتساق[2]

وقمتَ تنعى عند شدّ الوثاق يوم التلاق[3]

---

(١) يريد بذى الجمال وطنه المحبوب تونس الخضراء

(٢) بعد انتساق أى انتظام

(٣) عند ما شدّ الوثاق أى عند ما حيل بينى وبين صحابتى، كأننى أصبحت فى أسر البين مشدود الوثاق

مَلقىً رفاقى فى ليالى المحـــاق   مثل الفراق[(١)]
إن فاتنى مرآهمُ بالحداق   فالودُّ باق

* * *

حيّا رُبا تونسَ ذات الزهور[(٢)]   عهدُ السرور
وافترَّ فى طلعة تلك القصور   أنسُ البدور
ما الأنس فى أقداح راح تدور   ما بين حور
إنَّ التى تلفحنا فى الصدور   نارُ الغيور

* * *

ياشاطئ المرسىٰ إلامَ الهجود   فُكَّ القيود
وكن كما كنتَ لعهد الجدود   غِيل الأسود
يمرح فيك العزُّ بين الجنود   ضافى البرود
فأنت لا تُزْهىٰ بتلحين خُود   ونقر عود

* * *

يا معهداً يشمل فيـه الـكرام   بـلا مدام
وابتسمت أزهاره فى نظـام   بـلا كمام

---

(١) ليالى المحاق يريد الزمن الذى بسط فيه العدوُّ يده على تونس وسلب أهل المغرب عزّهم وحريتهم وأظلم عليهم أرضهم وسماءهم

(٢) ورد هذا الجمع فى شعر السرى الرفا :

حلا البرق من ثغره ضاحـــكا   إليه فأضحـــك منه الزهورا

نهضتَ تحدو بالنفوس العظام إلى الأمام
أقلامكَ الحرةُ ترعىٰ الذمام ولا تنام

* * *

يانسمةً ماست كشارب راح قبل الصباح
والطلُّ أصفى من دموع الملاح فوق الوشاح
هُبِّي وجُرِّي فى النوادى الفساح ذيل المِراح
هبى وهاتى نفح أنس قراح يشفى الجراح

الدَّين سُمّ

يا غامساً يده فى الدَّين إنك قد
غمستها فى صديد خلته عسلا
والدَّين للمال سمٌّ ناقع فاذا
ما اندسَّ فى ثروة أودىٰ بها عجِلا



هى ملقى الضدين

كن عذيرى إن كنت يوماً عذولا   لفتى إذ يودُّ موتاً عجولا

مسّه فى الحيــاة ضيرٌ فألقى   فى هجاء الحيــاة قولا ثقيلا

رُبَّ خطب دها امرءاً وتلقَّا   ه بعزم فــكان ذكراً نبيلا

ونعيم وافاه عفواً وما أو   لاه شكرا فعاد شرًّا وبيلا

هى مَلقى الضدين حيث ترى فيـ   ـها بغيضا ترى هناك خليلا

تبعث الشمسُ فى الهجير لهيباً   فتذيع الصَّبا نسيما عليـلا

وترينا الآفاق فحمــةَ ليل   فترينا السماء بدراً جميـلا

ويراعُ البليغ يرسل إن شا   ء زُعافاً[١] وإن يشأ سلسبيلا

زاد أكبادَنا الزعاقُ[٢] غليـلا   فشفى النيلُ والفرات الغليلا

يخفق القلب روعة من غشوم   هزَّ رمحاً أو سلَّ سيفاً صقيلا

وتقرُّ العيون فى موطن قد   بسط الأمن فيه ظلا ظليلا

✡ ✡ ✡

ملتقىً وحشة وأنس وإن لم   يك وقت الايناس فيها طويلا

أترى الفيلسوف يدرى لمـاذا   كان حظ السرور منها ضئيلا

---

(١) الزعاف : السم

(٢) الزعاق : المـاء الغليظ المر لا يطاق شربه

الشعور طليعة الفلاح

من قصيدة قيلت أيام الحرب العظمى فى دمشق سنة ١٣٣٤ وهى من القصائد التى كان صاحب الديوان يدعو بها الى اتحاد العرب والترك

وإن ساورت بعضَ القلوب ضغينةٌ ... وعادت من البغضاء كالحشف البالى
فقد يستفيق الصبُّ من سكرة الهوى ... وتخضلُّ أزهار الربا بعد إمْحال
وكم عبثت ريحُ الخلاف بوحدة ... ولم تبق من بنيانها غير أطلال
فلاحَ شعورٌ وهو أسعد طالع ... يَلُمُّ شعوثا تحت وارف أظلال
شعور فعلم فاتحاد فقوة ... فعزم فإقدام فإحراز آمال

ومنها:

لنا همم تسمو إلى العلم رفعة ... وهمات بعض الناس تصبو إلى المال
ولو قيل فى طرْس الغزالة حكمة ... عرجنا بأبكار وعدنا بآصال

جذوة أو زهرة

وافت تسائلنى ولم يستفتنى ... من قبلُ فى فن النسيب سؤول
قالت: يقول أبو فراس فى الهوى ... «حلو ومرٌّ» [1] هل لديك دليل
قلت: المحبة فى فؤادى جذوة ... إن لم يجُد لى باللقاء خليل
وإذا التقينا فالمحبة زهرة ... يذكو شذاها والنسيم عليل

---

(١) إشارة إلى قول أبى فراس:

خليلىّ ما أحلى الهوى وأمرّه ... وأعلمنى بالحلو منه وبالمرّ

حبُّ الوطن

وطنى علمتنى الحبَّ الذى يدع القلب لدى البين عليلا
لا تلمنى إن نأى بى قدَرٌ وغدا الشرق من الغرب بديلا
عزمة قــــد أبرمتها همة وجدت للمجد فى الظعن سبيلا
أنا لا أنسى على طول النوى وطناً طاب مبيتا ومقيلا
فى يمينى قــــلم لا ينثنى عن كفاحٍ ويرى الصبر جميلا (١)
هو ذا طاعنْ به خصمك من قبل أن تخترط (٢) السيف الصقيلا

فى كل شىء له آية

يَعجبُ الناسُ فى الحياة وأقضى عجبى منك أن ضللتَ السبيلا
أنت ترتاب أن يدبِّر أمرَ الـ ـكون مَن جلَّ ملـكه أن يزولا
وتخال الوجود وقفا على ما تُبصر العينُ بكرة وأصيلا
وكأيِّنْ فى الـكون من آية إن كنت تبغى إلى اليقين وصولا
كل ما أبصرته عيناك ليـلا أو نهـارا يملى عليك دليلا

الذل فى البطالة

لا يرتجى العزَّ شعبٌ ظل فى وسَنٍ من البطالة لا سعيا ولا أملا
فالدرُّ يسمو إلى جيد الفتاة وإن حام النعاس على أجفانها نزلا (٣)

---

(١) يريد الصبر على الـكفاح (٢) تسل
(٣) إشارة إلى عادة نزع الحلى عند النوم

من أديب الى فقيه

سَبَتْ منا البصائرَ بنتُ كرم
فقلتَ الخمر تستدعى نكالا

وحين سَبَت بناتُ الشعر منَّا
نُهىً سميتها الخمر الحلالا

من الفقيه الى الأديب

بنات الشعر تسبى منك لبًّا
وترفعه إلى أفق تعالى

وبنت الكرم تنهبه وتغشى
به دِمَناً وأندية رُذالا[١]



(١) الرذال : جمع رذل ، وهو الخسيس والدنىء من كل شئ

حرف الميم

ذكرى المولد النبوى

قيلت فى الاحتفال بالمولد النبوى سنة ١٣٤٨ هـ

حيِّ ذاكَ البدرَ بالزهرِ النظيم   واملأ الجفنَ بمرآه الوسيم
إنه يحــكى مُحيَّا المصطفى   إذ بدا بين المصلَّى والحطيم
إن تــكن يابدرُ تزهو بسناً   يرشد السارىَ فى الليل البهيم
فسنا أحمـدَ يَهـدى أمماً   ويريهـا سَنَن العز المقيم
عُجْ بروض باكر الطلُّ به   دَوْح وردٍ هزَّه كف النسيم
تلق فى الروض شذًى يشبه ما   لنبى الله من خلق كريم
إن تــكن ياروض يزهوك جنىً   هو زهو العين أو عطر الشميم
فلطـه كلم يسلو بهـا   عاشق الحكمة عن كل نعيم

* * *

إن تر العضبَ بيمنىٰ بطلٍ   هزَّه يين قتيل وكليم
فاذكرِ العزم الذى لاقىٰ به   خاتمُ الرسل أذى كل زنيم (١)
غير أن العضب يقضى مرغما   فى الوغىٰ حاجة جبار نهيم (٢)

---

(١) الزنيم : الدعى اللئيم

(٢) نهيم : من النهم ، وهو إفراط الشهوة فى الطعام . والمراد إفراط الشهوة فى كل ما يستمتع به

يا خصيما لهدىٰ أحمـدَ ما　　لخصيم الحق من قلب سليم
دونك التاريخ لا تبقى مدًى　　فى حديث إن تشأ أو فى قديم
هل رأى الناس كتاباً عجبا　　مثل ما يتلى من الذكر الحكيم ؟

✡

ويحَ قوم سَحرتْ أعينهم　　هذه الدنيا بمرعاها الوخيم
غرقوا فى لهوها واتخـذوا　　من موالاة الهوى أشقى نديم
نـكروا القرآن بالذوق الذى　　يؤثر الذرّ على الدرّ اليتيم
دَعَوُا الالحادَ إصلاحا وهل　　يعرف الاصلاحَ ذو ذوق سقيم
ورسولُ الله هادٍ للعـــلا　　منذرٌ عاقبة الفعل الذميم
مَثلٌ أعلى لنفس جَمَعت　　سطوة العادل فى أنس الحليم
عزة قعساء فى أسنىٰ تقىً　　همة شمّاء فى قلب رحيم
هو إذ يرهف حـدًّا للذى　　عاث أو يأذن فى حرب الخصيم
لم يرد إلا سلاما سائداً　　واعتزازا لذوى الدين القويم
إن تـكن تعجبُ فاعجبْ ليدٍ　　لبستْ قُفّـازَ أفّاك أثيم
كتبت تزعم من شقوتها　　أنه لم يك بالشخص العظيم
علّموها أنه أعظم مَن　　سار فى الناس على هذا الأديم

✡

صاحبَ الروضة فى طيبة نمْ　　آمناً طغيان ذا الخطب الجسيم

إن فى الشرق رجالا نهضوا يقرعون الخطب بالعزم الصميم
لا يبالون إذا ما جاهدوا غضب الغاشم أو كيد اللئيم

✡

قدَّس الله ثرىٰ قبرك ما نفح القرآنُ بالهـدىٰ العميم
وأقام العـلمُ آياتٍ على أنه تنزيل خلاقٍ حكيما



قصيدة الافتتاح

ألقاها صاحب الديوان فى افتتاح مؤتمر المجمع اللغوى
فى ٢٦ يناير سنة ١٩٤١

نهض القطارُ فأومأوا بسلام وجرىٰ بهم طَلَقاً بغير زمام
بانوا فما بالِى فقدتُ حُشاشتى أمضى بها فى الركب فرطُ هُيام
عجباً لروح فارقت جسدَ امرىء يقظان لم يُرشق بسهم حِمام
طوتِ النوىٰ عهداً يطوف سُقاته بكؤوس أنس لا كؤوس مُدام
رضتُ القريضَ لعلنى أسلو به ذكراهمُ وأغيب عن آلامى
فصحوت من شجن إلى شغف بما فى نطق يعرُبَ من سنًى ووسام (١)
هى لهجة شبَّت بأرض بداوة فيحاء بين الأسد والآرام
لكنها وسعت علومَ «أرسطُ» بل وسِعت حضارةَ فارس والشام

---

(١) السنى : الضوء . والوسام : الحسن

اللفظ أصفى من حَباب سُلافة قد لثَّموا إبريقها بفدام (١)

لو أن خوْدا تستعير الحلىَ من صوغ ابن بُرد أو أبى تمام (٢)

أَسَرت أسودا قد تحاموا قبلها أن يُؤسَروا بصبابةٍ وغرام

ولرُبَّ متئد يُصاعِرُ خدَّه متجافياً عن مطرب الأنغام

حيَّته روضات البيان بباقة معطارة من زهرها البسام

فَصبا إلى الآداب من لم يُصْبه تلحينُ زرياب (٣) وسجع حَمام

أذكى خطيبُ الجيش فيه حماسةً أهوت براحته إلى الصمصام

نطق الكتابُ بها فأفحم أَلْسُناً لم تُبْلَ قبلُ بوصمة الإفحام (٤)

وتألقتْ حِكم النبىِّ كأنها شهب السماء تشُقُّ بحرَ ظلام

ساد الهوى وسما لواء الملك ما بين السيوف الغُرّ والأقلام

الدينُ يعلو بانتضاء يراعة والملك يعلو بامتشاق حسام

بُعداً ليوم نام فيه حُماتها ورمَت صروفُ وجهها برَغام (٥)

مُنيتْ بلحنٍ واللسان ملحَّن ما لم ترضه علومها بلجام (٦)

لو جسَّ « جالينوس » مَنبض قلبها ليحسّ ما تشكو من الأسقام (٧)

---

(١) الفدام : ما يوضع على فم الابريق لتصفية ما فيه

(٢) الخوْد من النساء : الحسنة الخلْق ، الشابة الناعمة . وابن برد هو بشَّار الشاعر العبَّاسى الفحْل المشهور

(٣) زرياب : المغنى المشهور ببلاد الأندلس

(٤) الكتاب : هو القرآن كتاب الله الحكيم

(٥) الرغام : التراب . ورمى وجهها بالرغام إذلالها وحطها عن مكانتها السامية

(٦) ملحّن : أى مرمىّ باللحْن ، مصاب به

(٧) جالينوس . طبيب يونانى عاش بين سنتى ١٣١ و ٢٠١ لميلاد المسيح

ألفى ذبول الظامئات وأحرفاً كادت تزيغ بها إلى إعجام
من ذا يغار على بيان العرب من أيد توارى شمسه بقتام(١)

✡ ✡

يا مجمعاً نيطت به همم تبا هى الزُّهر فى أفلاكها وتسامى
هذى شعوبُ الشرق تنظر وهى فى أوطانها القصوى بعين حذام(٢)
ترنو إليك بمقلة نقّادة عرفتْ وجوه النقض والإبرام
فلنقضِ للفصحى لُبانةَ دوْحة قذف الهجيرُ غصونها بضرام(٣)
ولنسق ظامئها عصير دراية إذ كان لا يسقى عصير غمام
ما أشبهَ الآمال يوم يخوضها عزمٌ بأضغاث من الإحلام
يحلو النضال ولا نضال ألذُّ من تنقاد آراء بغير خصام(٤)
هى كالسحائب : هذه وَطفاء إن سَنَحَت ، وتلك تمرُّ مرَّ جهام(٥)
والرأى يخلص بالنقاش الحرِّ من صدإ الخمول ولُبْسة الإبهام(٦)
وجآذرُ الأفكار لا تردُ الحمى ما لم تُسَسْ بروية ونظام

---

(١) القتام : الغبار

(٢) حذام : امرأة فى الجاهلية يضرب المثل بصدقها ، وإصابة منطقها

(٣) اللبانة : الحاجة تنبعث من الهمة لا من الفاقة . والضرام : ما اشتعل من الحطب . والهجير : من زوال الشمس الى العصر حيث يشتد الحرّ ويلفح القيظ

(٤) تنقاد الآراء : بيان الصحيح منها ، والمردود . وأصل ذلك تنقاد الدراهم أى تمييز الجيّد منها والزائف

(٥) الوطفاء من السحُب : كثيرة الماء ، المسترخية ، أو هى الدائمة السحّ الحثيثة . والجهام : سحاب لا ماء فيه

(٦) لبسة الابهام : شُبْهته

بكاء على قبر

قالها صاحب الديوان فى رثاء والدته سنة ١٣٣٥

قطبَ الدهرُ فأبديتُ ابتساما وانتضى الخطب فما قلت سلاما

لست أدرى أنَّ فى كفيكَ يا دهر رُزءاً يملأُ العينَ ظلاما

لست أدرى أنك القاذف فى مهجتى نارا ومُذكيها ضِراما

فاذا العين ترى من كثب كيف تلقى نفسىَ الأخرى حِماما

كيف تخفيها أكفٌّ فى الثرى كيف تحثو فوقها الترب ركاما(١)

أودعوها قعْرَ لحد ضربوا فوقه من لازبِ الطين خِتاما(٢)

يا سُقاةَ الترب ماءً هاكمُ عَبراتى إن فى الجفن جِماما(٣)

أفلا يبكى الفتى نازحة سهِرت من أجله الليل وناما

وانثنت تُرشفه من أدب مُذْ لها عن لبَن الثدى فطاما

☆

« بنتَ عَزّوز(٤) » لقد لقَّنتِنا خشيةَ الله وأن نرعىٰ الذماما(٥)

---

(١) ركاما : مجموعا بعضه فوق بعض

(٢) الطين اللازب : الصُّلب المتماسك

(٣) جماما يجوز أن يكون بكسر الجيم جمع جَمّ ، وهو معظم الماء اذا تجمَّع . ويجوز أن يكون جَماما بفتح الجيم أى راحة من إراقة الدمع ، وذلك أحث لها على الجود بالبكاء

(٤) والدها الشيخ مصطفى بن محمد بن عزوز . والشيخ مصطفى له ترجمة حافلة فى تاريخ الوزير الشيخ أحمد بن أبى الضياف . والشيخ محمد بن عزوز له ترجمة فى كتاب تعريف الخلف برجال السلف للشيخ الحفناوى بن عروس

(٥) الذمام : الحق والحرمة

ودَرَينا منك أن لا نشترى بمعالينا من الدنيا حطاما[١]

ودرينا منك أن الله لا يخذُل العبد إذا العبد استقاما

ودرينا كيف لا نعنو لِمَن حارب الحقَّ وإن سلَّ الحساما

كنتِ نورا فى حمانا مثلما يجتلى البدر إذا البدر تسامى

أفلم تحييه بالقرآن فى رقة الخاشع ما عشتِ لزاما

كنتِ لى روضة أنس أينما سرتُ أهدت نفحَ وردٍ وخُزامى[٢]

كان لى من قلبكِ الطاهر فى كل يوم دعوةٌ تجنى المراما[٣]

كان لى منك إذا أشكو النوى كتُبٌ تحمل عطفاً وسلاما

ضاع منى أن أجيل الطرف فى وجهك الريان بشرا واحتشاما

إن فى هذا التنائى قسوة جعلت مرآك بالعين حراما

لهفَ قلب بات لا يرجو لقا ءك إلا أن يرى الطيف مناما

فادخلى فى سَلَف قمتِ على هدْيه الحقِّ وأحسنت القياما

واسعدى نُزْلا إلى الملْقى إلى يوم لانخشى على الأنس انصراما[٤]

الشعر كالبيداء

قيلت فى تونس

لا خيرَ فيمن جفَّ طبعاً واشترى بلطائف الأدباء كأس مُدام

والشعر كالبيداء : هذا مهْمهٌ قفرٌ ، وهذا مرتع الآرام

---

(١) الحطام : ما يفنى من مال الدنيا وزينتها

(٢) الُخزامى نبت زهره أطيب الأزهار نفحة (٣) يريد دعوة مجابة

(٤) النزْل والنزُل : ماهيىء للضيف أن ينزل عليه

مساعى الورى شتى

من أبيات هنأ بها صديقه الأستاذ الشيخ الطاهر بن عاشور
عند ولايته التدريس فى جامع الزيتونة سنة ١٣٢٣ هـ

مساعى الورى شتى وكلٌّ له مرمى ‏ ‏ ‏ ومسعى ابن عاشور له الأمد الأسمى
فتى آنس الآداب أول نشئه ‏ ‏ ‏ فكانت له روحا وكان لها جسما
وما أدب الانسان إلا عوائد(١) ‏ ‏ ‏ تخُط له فى لوْح إحساسه رسما
فتى شب فى مهد النعيم ولم تنل ‏ ‏ ‏ زخارفه من عزمه المنتضى ثلما
وفى بهجة الدنيا وخُضرة عيشها ‏ ‏ ‏ غرور لباغى المجد إن لم يفُق حزما
وشاد على التحقيق صرح علومه ‏ ‏ ‏ فما اسطاع أعداء النبوغ له هضما
ومن شدَّ بالتفويض لله أزره ‏ ‏ ‏ ومدَّ شِباك الجدّ صاد بها النجما

ومنها :

وذى خطةُ التدريس توطئة لأن ‏ ‏ ‏ نراه وقسطاس الحقوق به يُحمى
رجاء كرأى العين عند أولى الحجا ‏ ‏ ‏ يوافيه كالمعطوف بالفاء لا ثُمَّا
بلونا حلى الألفاظ فى سلك نطقه ‏ ‏ ‏ فلم يُلف صافى الذوق فى عقدها جشما(٢)
وفى الناس مهذار تراه يلوكها ‏ ‏ ‏ بلهجته(٣) لوك المسوَّمة اللُّجْما

---

(١) عوائد : عادات
(٢) الجشم : التكلف ، جشم الأمر تكلف
(٣) اللهجة : اللسان . والمسوَّمة : الخيل يجعل لها سِمة وعلامة

ومنها :

بطانة صدرى صُوِّرت من إخائكم وجاء بنان الخلد يرقمها رَقْما
وإنى أرى باب المداجاة ضيقا فلا يسع النفس التى كبرت همّا
وإن شمت فى نسخ القريض تخاذلا وآنست فى مغزى فواصله وَصْما (١)
فزهرة فكرى لا تطيب عُصارة إذا نفث الإيحاش فى أضلعى سمّا
ألم تر أزهار الرُّبا حينما نأت أفانينها كان الذبول لها وسْما

* * *

كأنى دينار

قيلت عند سفره من دمشق

كأنىَ دينارٌ وجِلّقُ راحةٌ
تنافس فى الإنفاق راحة حاتم (٢)
فكم سمحتْ بى للرحيل ، وليتنى
ضربتُ بها الأوتادَ ضربة لازم (٣)

---

(١) شمت : أبصرت من شام البرق : نظر اليه اين يقصد . والوصم : العيب
(٢) جلق : دمشق
(٣) يقال ضربة لازم وضربة لازب . انظر شرح القاموس

الملك الطبيعى أو راعى الغنم

قيلت فى قرية بضواحى برلين تدعى « ويزن دورف »

تقلَّد الملكَ بين الضال والسلم ... وهبَّ يفتح من غور إلى عَلَم [(١)]

فعرشُه ربوةٌ حاكت خميلتَها ... يدُ الغمامة إذ جادت بمنسجم

وتاجه الشمسُ تبدو فوق مفرقه ... تاج مصون بلا جند وسفك دم

سراجه الكوكب الدّرىُّ يرسل من ... عليائه بسناً ينساب فى الظلم

والظبىُ يرقم فى طرس الفلاة خُطاً ... أحلى لناظره من جولة القلم

صفت مناظر غُدْرانٍ فكان له ... فيها مرايا جلاها صاقل النَّسم

وآلة الطرب الُحملان ترتع فى ... خصب فيسمع منها أطيب النغم [(٢)]

عيناه : ذى سارقت جفن المها نظرا ... وتلك ناظرةٌ شَزْراً إلى الأجم [(٣)]

لم يتخذ سامراً يوحى إليه بما ... يهوىٰ ويخضب بعض الحقّ بالكتم [(٤)]

وما امتطى مركبا كيلا يضايق فى ... مسيره نفَس العجفاء والهرم

ومن تولّى زمامَ الأمر فى ملأ ... لم يغلُ إن ساسهم سعيا على قدم

---

(١) الضال والسلم : شجران من أشجار البادية . وعلم : يريد به الجبل . والغور : المنخفض من الأرض

(٢) الحملان : جمع حمل ، وهو الصغير من أولاد الضأن

(٣) المها : بقر الوحش . وسارقت جفن المها نظراً أى تنظر الى المها فى غفلة منها معجبة بحوَر عيونها . وناظرة شزرا : أى بغضب . وذلك أن الأجم ـ وهو الغابة ـ مأوى الأسود وما يعدو على ما شيته

(٤) السامر : القوم يتحدثون . والكتم : نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر . يريد به ما يخفى وجه الحق

فقدوا أحلامهم

طاف بالكأس على ندمانه[١] لاغتيال الهمّ فيما زعما

لم يُمت هماً ولم يغتل نُهى ما بُغاة الخمر إلا فى عمى

فقدوا أحلامَهم من قبل أن يسفكوا من أكؤُس الخمر دَما

لو تخصتم أنفسا همّت بأن تطفىء العقلَ رأيتم لمَما[٢]

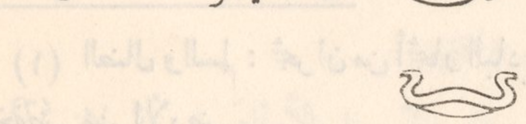
ستری فيها حُلوما عندما نبصرُ الأحلامَ حلت فى الدُّمى[٣]

* * *

الندامى

تدير على الرفاق كؤوسَ خمر
وتدعوهم بمجلسكَ الندامى[٤]

وإن عضوا الأنامل بعد صحوٍ
فإن الله يغفر للنَّدامى[٥]



---

(١) جمع نديم

(٢) اللمم : الجنون

(٣) جمع دميه وهى الصورة والصنم

(٤) جمع ندمان بمعنى نديم وهو المجالس على الشراب

(٥) جمع ندمان بمعنى نادم أى آسف على ما فعل

مروحة الروح

قالها جوابا عن بيتين(١) بعث بهما اليه صديقه الشيخ محمد المقداد الورتانى من تونس مصحوبتين بمروحة على وجه الهدية

يا أخا الآداب صغتَ الشعر من   كلم يعذُب فى سمع وفم
ودريتَ الحر فى مصر إذا   أقبل الصيف تلظَّى واحتدم(٢)
فتخيرتَ لأن تهدىَ لى   من بلاد النخل مِهداء(٣) النّسم
أنا فى حَرّ من الشوق فما   طبٌّ حر الشوق إن شوق ألم
طبُّه الناجع(٤) ملقاكَ ألا   تبتغى مصر سبيلا للحرم
هذه مروحة الروح ودع   سعف النخل الى لحم ودم

احضار الارواح

بيتان خاطب بهما صديقه الاستاذ خير الدين الزركلى بدمشق عندما تليت عليه قصيدة بليغة من نظمه

يا مُحْضِراً فى برد شعر رائع   روحَ ابن بُرد وهو يلفظ بالحكم
من عَلَّم الشعراء أن يتحضروا   روحاً تردَّى جسمُها ثوبَ العدم

---

(١) البيتان هما :
مروحة من تونس الى الأعز الخضر
نسيمها يهدى له أزكى سلام عطر
(٢) تلظى : التهب . واحتدم : اشتد
(٣) الكثيرة الاهداء   (٤) المؤثر

الرجاء تعلة[١]

قالها بمناسبة ورود بيتين[٢] لعلى بن الجهم فى مجلس أدب

أودّع جـيرانا لفرقة ليلة ... بلوعة من هموا بفرقته عاما
أشيعهم بالطرف أرجو التفاتة ... تريني وجوها كالبدور وساما
وللنفس إذ ينأى الأحبة روعة ... تثير شجونا فى الحشا وسقاما
ولولا رجائى والرجاء تعلة ... لأوبتهم كان الوداع حماما

برقية الشوق

قالها أثناء رجوعه من الآستانة الى تونس سنة ١٣٣٠
وقد مرّت به الباخرة بالقرب من شاطىء « المرسى »
حيث يقيم صديقه الأستاذ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور

قلبي يحيِّيكَ إذ مرَّت سفينتنا ... تُجاه واديكَ والأمواجُ تلتطمُ
تحيةً أبرق الشوقُ الشديد بها ... فى سلك ودٍّ بأقصى الروح ينتظم

---

(١) التعلة : ما يتعلل به

(٢) البيتان هما قوله :

ياغائبا بـكتابه ووصاله ... هل يرتجى من غيبتيك إياب
لولا التعلل بالرجا لتقطعت ... نفس عليك شعارها الأوصاب

حرف النون

مشاهداتى فى الحجاز

ألمجدٍ لا ينـال القاطنينْ	ودّع الصحبَ وحيّا الظاعنينْ[(١)]
شام فى وِجْهته يُمْناً ولو	زجر الطـير لمرّت باليمين[(٢)]
لا تلوما فى النوىٰ مَن هاجه	للنوى لاعجُ شوق فى الـكنين[(٣)]
شاقه البيت وقــبر المصطفىٰ	وربوعُ الخلفــــــاء الراشدين
سار شوطا وهو لا يدرى أفى	حُـلُم أم فى زمان لا يخون
ذكر «الخضر» و«موسى» إذ أتى	مجمَع البحرين مرْتادَ السفين
ركب «الطائفَ» يطوى البحر فى	جذَل والبحرُ كالشيخ الرزين
وإذا هبّت جنوب طردت	ما يلاقيه الندامىٰ من شجون
هم سكارى ما احتست آذانهم	حـكمةَ القرآن فى نطق رصين
ودنوا من «رابغ» فاستبقوا	يذكرون الله جهرا محرمين[(٤)]
فى بيـاض ناصع تحسبهم	بادىء الرأى زهوراً فى الغصون

---

(١) لاينال القاطنين أى لا يدركهم ، ولا يصل إليهم

(٢) زَجْر الطير : التفاؤل بمرورها من جهة اليمين واليسار : فان مرت من اليمين اعتقد الخير ، أو اليسار اعتقد الشر . وتراه يقول : لو زجر الطير فهو لم يزجرها ، لأن ذلك ضرب من التّطيرة المنهى عنه

(٣) الـكنين : المكنون المستور . ويراد به القلب والضمير

(٤) رابغ : واد بين الحرمين قرب البحر الأحمر ، يحرم منه الحاج

رست الطائفُ[١] فى « جُدَّةَ » لا برحت « جدة » فى حصن حصين
رحلوا فى جنح ليل وأتوا مكةَ الغراء من نحو الَحجون
فى رضا الله خُطاً خاضوا بها فى حصىً يغبطه الدر المصون
دخلوا بيتاً حراما يستوى فيه ذو التاج ومغبرُّ الجبين
شاهدوا الكعبة وَهْنا فجرت عَبراتُ البِشر من بعض الجفون[٢]
مقلةُ الدنيا فان أبصرتها فى سوادٍ فعيون الغِيد جُون[٣]
لثموا من ركنها الأيمن ما لثمته شفتا طه الأمين
هى بيت الله إن طافوا بها وهمُ أضياف رب العالمين
وردوا « زمزمَ » يشفون بها ظمأ الأكباد حينا بعد حين
لو شفى « عمرو بن كلثوم » بها غُلَّه عاف خمورَ الأندَرين[٤]
صعدوا « المروةَ » من بعد « الصفا » وسعوا لله سبعا راجلين
وقفوا فى « عرفاتٍ » موقفا يطرح الآثامَ من ماضى السنين
إن دهراً طاف ساقيه بما تشتهى أنفسُهم غير ضنين
هبطوا « جمعاً » وقد ساد الدُّجا وحَدوا منها المطايا مُصْبِحين[٥]

---

(١) اسم الباخرة التى أبحر فيها من السويس إلى جُدة

(٢) وهنا : فى نصف الليل أو بعد ساعة منه

(٣) جون : سود . يقول : إن أبصرت الكعبة مجلَّلة بالسواد بكسوتها فلا عجب فانها مقلة الدنيا وعينها ، وعيون الغيد سود ، وذلك يشُبُّ حسنها ، ويزيد قسامها .

(٤) عمرو بن كلثوم هو الشاعر الجاهلى المشهور صاحب المعلقة التى أولها :

ألا هبّى بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الأندرينا

(٥) جمع : هى المزدلفة ، وهى موضع بين عرفات ومنى

هل درى المشعرُ إذ عاجوا به ... أنهم جندُ إمام المرسلين (١)

نزلوا « خَيْفَ مِنىً » حيث رموا ... بالحصى سبعا على وجه اللعين (٢)

وأتوا « أمَّ القرى » فاطَّوَّفوا ... ثم عادوا « لمنىً » فى العائدين

ركعوا فى مسجد الخيف وهل ... أحرزوا فيه ثواب الخاشعين

وقضوا حق « منىً » وارتحلوا ... بعد أن أذَّن بالعصر أذين (٣)

سل « ثَبيرا » ما له ظل بهـا ... ملقِىَ الرحل وقد بان القطين (٤)

أفـــلا يحمل ما نحمله ... لرُبا « طيْبةَ » من شوق مكين

دع « ثبيرا » قاسىَ القلب فهل ... تلفح الأشواقُ صخرا فيلين

✡

هذه مكةُ ما للشمس فى ... صفرة تحكى بها وجه الحزين

---

(١) المشعر : هو المشعر الحرام المذكور فى قوله تعالى : ﴿ فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ﴾ . وقد قيل إن المزدلفة كلها هى مشعر أى معلم للعبادة . وقيل هو ما بين جبلى مزدلفة . ويقول صاحب القاموس : إنه أقيم عليه بناء

(٢) خيف منى : سفح جبلها ، وفيه مسجد الخيف . واللعين : إبليس ، وأصل ذلك أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بناء البيت أتاه جبريل عليه السلام فأراه الطواف ، ثم أتى جمرة العقبة ، فعرض له الشيطان ، فأخذ جبريل عليه السلام سبع حصيات وأعطى إبراهيم سبعا ، وقال : ارم وكبر . فرميا وكبرا مع كل رمية حتى غاب الشيطان ، وتم مثل هذا فى سائر الجمرات

(٣) الأذين : المؤذن

(٤) ثبير : جبل بظاهر مكة ، كان فيه سوق فى الجاهلية كسوق عكاظ

أتربينا والنوى قد أزفت كيف تصفرُّ وجوهُ النازحين
بلدةٌ عظمى وفى آثارها أنفعُ الذكرى لقوم يعقلون
شبَّ فى بطحائها خيرُ الورىٰ وشبا فى أفقها أسمحُ دين (١)
إن عزمنا النأىَ عنها فالضرو راتُ قد تنئى خَدِينا عن خدين

✡

سائقَ السيارة انهضْ نغتنم فرصة نرقبها منذ سنين
خض بها البِيدَ إلى سَلع فلى حاجة فى أرض سلعٍ وشئون (٢)
بين ليل مثل أحداق المها ونهار مثل نَور الياسمين

✡

أحمدُ الإدلاجَ والتأويبَ إذ أرَيانى خيرَ ما تهوىٰ العيون (٣)
أمتعا طرفى بمرأى روضة أودعوا تربتَها خيرَ دفين
روضةٌ يصبو إليها كل من عرف الحقَّ وبالحق يدين
شادها الهادى على أسّ التقىٰ وتلا القرآن فيها جبرئين (٤)

---

(١) بطحاء مكة: ما بين جبليها المسمّين بالأخشبين ، وهما أبو قبيس والأحمر. وذلك صميم مكة ، ومن كان يسكن البطحاء هم المحض واللباب من قريش ، وكان دونهم من يسكن الظواهر من مكة

(٢) سلع : جبل بالمدينة

(٣) الادلاج : سير أول الليل ، والتأويب : ورود الماء ليلا

(٤) جبرئين : لغة فى جبريل عليه السلام

حَرَمٌ كم سُقيت حصباؤه   فى دجى الليل دموعَ القانتين (١)

فاسألوا المحرابَ عن بدر الهدى   إذ هوى يسجد فى ماء وطين (٢)

معهدُ الحكمة لا ينبت فى   دَوحه إلا الدعاةُ المصلحون

مَدرسٌ للحرب لم يرْم العدا   قط إلا بالكماة الفاتحين

ثكنةٌ للجند والقضب إذا   لم يكن بدٌّ من الحرب الزبون (٣)

حجراتٌ مُلئت طهراً أما   عمرتهـا أمهاتُ المؤمنين

لُقِّنت فيها حقوق أنقذت   ربَّة المنزل من أسرٍ يَشين

✡

هأنذا فى مقام مؤنسٍ   كسنا البدر مَهيبٍ كالعَرين (٤)

فسلاما فى حضور بعدما   كاد يزجيه على البعد حنين

✡

---

(١) الحصباء : الحصى

(٢) يسجد فى ماء وطين : تلميح لما ورد فى صحيح البخارى فى باب فضل ليلة القدر من كتاب الصيام ، أنه ﷺ كان معتكفا فى المسجد فأرى فى النوم أنه يسجد فى ماء وطين ، وكان تعبير ذلك أن المطر ينزل غزيرا ، وكان القوم فى المسجد على الاعتكاف فأخبرهم الرسول عليه الصلاة والسلام بهذه الرؤيا ليرجعوا إلى بيوتهم . قال راوى الحديث : فرجعنا وما فى السماء قزعة ، فجاءت سحابة فمطرت حتى سال سقف المسجد وكان من جريد النخل ، واقيمت الصلاة فرأيت رسول الله ﷺ يسجد فى الماء والطين حتى أثر الطين فى جبهته

(٣) الحرب الزبون : الصعبة . شبهت بالناقة الزبون ، وهى التى تزبن وتدفع حالبها برجلها ، وولدها عن ضرعها

(٤) العرين : مأوى الأسد

جئتَ يامختارُ والعالم فى ليل جهل وضلال ومجون
فمحوتَ الهزل بالجدِّ كما ذُدت ليل الغيّ عن صبح اليقين
وأقمتَ العلم صرحاً شامخاً وصرعت الجهل طعناً فى الوَتين (١)
سُستَ أقواماً فساسوا أمماً بيد الانصاف فى حزم ولين
وقضوا فيها بشرع قيّم فأروها كيف يقضى العادلون
«خاتم الرسل» ألم يأتك ما حلَّ بالأمة من خطب مُهين
ويلها من مرهق فى علن وخئون فى ثياب الناصحين (٢)
ليت قوماً ورثوا هديك لم يغمضوا عن موبقات المترفين
ليت قوماً ورثوا الراية قد فطنوا للداء والداء كمين

✡

دينُكَ الوضّاء ثارت حوله غُبرة من شبهات المبطلين (٣)
من يد ترميه فى رَأد الضحى ويد ترميه من خلف الدُّجون (٤)
ولهم فى كل واد قلم ولسان لاصطياد الغافلين
كم أزاغوا عن عفاف وهدى من بنات طاهرات وبنين

---

(١) الوتين : عرق القلب إذا انقطع مات صاحبه

(٢) من مرهق : أى من يكلف الأمة مالا تطيق ظلما وجورا ، ويسومها الخسف والهوان

(٣) الغبرة : التراب . ورد هذا المعنى فى القاموس

(٤) فى رأد الضحى : فى ارتفاعه . والدجون : جمع دَجن ، وهو إلباس الغيم الارض ، فتكون الظلمة

لم يَرُعْنا يا أبا القاسم من جولة الغيّ دويٌّ وطنين
إنَّ فى الشرق شبابا أيقنوا أنك الداعى إلى الحق المبين
إن أسنىٰ المجد فى شَعب إذا سامه الخصم أذًى لا يستكين
وقَفوا يرمون أعداء الهدىٰ بنبال قوسها العلم المتين
يعشقون البذل فى الخير إذا عشق المالَ طَغام موسرون (١)
يؤثرون الموت فى عز على أن يعيشوا تحت إرهاق وهون
وإلى الحضرة ما حُمِّلْتُه من تحيات شباب ناهضين

✡

أىُّ وِرْد لم يكدَّرْ صفوه صَدَرٌ ما الدهر إلا منجنون
أزمع الركب رحيلا لم يكن منه بدٌّ ، والضرورات فنون
فوقفنا لوداع ، والأسىٰ يلذع الآماقَ بالدمع السخين
أفلا نأسى على عهدٍ أتى وتولى وهو مقطوع القرين
نَضِرٍ كالروض حَلّاه الندى بجُمان صِيغ من ماء مَعين

✡

يا حمًى ودعتُه والشمس قد ودعت والتحقت بالراحلين
هل لنا عَود كعود الشمس من قبل أن يصرفنا عنك المنون
وسلاما كلما رتلته قالت الدنيا ومن فيها : أمين

---

(١) الطغام : أوغاد الناس ورُذالهم

رضيتُ عن اغترابى

قالها بعد قدومه من الشام إلى مصر
سنة ١٣٤١ هـ

رضيتُ عن اغترابى إذ لحانى   فتى لا ينظر الدنيا بعينى
يقول : تقيم فى مصر وحيداً   وفقد الأنس إحدى الموتتين
ألا تحدو المطيةَ نحو أرض   تعيد إليك أنس الأسرتين (١)
وعيشاً ناعماً يدَع البقايا   من الأعمار بيضاً كاللجين
وقومٌ أمحضوك النصح أمسوا   كواكبَ فى سماء المغربين
فقلت له : أيحلو لى إيابٌ   وتلك الأرض طافحة بغين (٢)
وما غين البلاد سوى اعتساف   يدنسها به خَرق اليدَيْن
فعيش رافهٌ فيها يساوى   إذا أنا سمته خُفَّىْ حنين (٣)
أحنُّ إلى لياليها كصبٍّ   يحنُّ إلى ليالى الرقمتين (٤)
ومطمح همتى فى أن أراها   تسامى فى علاها الفرقدين (٥)

---

(١) أسرة والده وأسرة والدته
(٢) الغين : الغيم
(٣) إشارة إلى المثل : رجع بخفى حنين
(٤) إشارة إلى قول الشاعر :

رأت قمر السماء فأذكرتنى   ليالى وصلها بالرقمتين

(٥) الفرقدان : نجمان يهتدى بهما

اسمع جعجعة ولا أرى طِحنا[١]

قيلت للنصح بترك الهذيان فى مجالس أهل الفضل

أتى زيد وأسرف فى هذاء[٢] تضيق به صدور السامرينا
يحدثنا فلا يروى غريباً ولا يبدى لنا رأياً رصينا
كمثل رحىً تجعجع طول ليل ولا تلقى على ثُفْل[٣] طحينا

عذاب الصامتين

صغتَ بالنار سيوفاً لم يكن صوغُها إلا لكبح المجرمين
قبضت أيد على هاماتها وانتضتها نصرة للظالمين
اطفىء النار فإسعاد أولى الـ بغى طعن فى ظهور المصلحين
لو يحُول البغى طيرا لم يَصِرْ غير بوم فى حساب الزاجرين
إن يحم فى أرض قوم سادراً لقىَ القومُ عذاب الصامتين[٤]
ويحهم لو نهضوا حتى رأوا عنق الباطل مقطوع الوتين

---

(١) الطحن : الدقيق

(٢) الهذاء : الهذيان

(٣) الثفل : ما يوضع تحت الرحى ليقع فيه الدقاق كالثفال

(٤) سادراً : لا يهتم ولا يبالى

كلانا ناظر وَرداً

قالها بمناسبة ما جرى فى بعض المجالس من المذاكرة
فى معنى البيتين المشار اليهما فى هذه الأبيات التالية

أنشدَتنا شعر لهفان على وصل ليلى وليالى الرقمتينِ
قلت : خلى ذكر من قال ولم يبرز المعنى : رأت بدراً بعينى
واذكرى يوم تلاقينا على ربوة والماء صاف كاللجين
غادة ترنو إلى ورد الرُّبا وفتى يلحظ ورد الوجنتين

أَحْمَدُ الظَّعَنَ

قيلت على لسان قلم أهداه لأحد الكتاب بعد عودته من برلين
سنة ١٣٣٤ ه

أطوى المراحل من «برلين» فى أمل لم يجن زهرته كف الذى قطنا
فأحمد الظعن إن الظعن أظفرنى بأنمل تخدم الاسلام والوطنا

خانها الحراس

قالها فى واقعة حال بالآستانة

ياریاضاً خانها الحرّاس إذ غرقت أعينهم فى وَسَنِ
سرقت ريحُ الصبا منك شذاً طاب وانسابت به فى الدمن

الزيارة دِعامة الصداقة

لى صديق ألقـاه يوماً فيوماً | فى احتفاء وما شعرنا بغبن
غاب عنا ثـلاثة فعتبْنا | خوف أن يبتلى الوداد بوهْن
وإذا رمت للصداقة حصناً | فعتاب الصديق أمنعُ حِصن
قال : أخشى إذا وصلتُ لقاء | بلقاء أن يسأم الخلّ منى
قلت : أصفيتك الوداد لأخـلا | ق سِماح كأنّهـا ماء مُزْن
فاذا ما سئمت ملقاك فايقَن | أننى قد سئمت لحظى وجفنى

ننجى الوطنا

طال ليـلى ولِمَا طال ولم | أشكُ هجران حبيب أو ضنىً
فـكأنّ الصبحَ طِرفٌ[(١)] جامحٌ | سار شوطا نحونا ثم انثنى
أرقٌ يمـلأ أجفـانى وقد | مُلئت أجفانُ غـيرى وَسَنا[(٢)]
أتُرى الليلَ سوادا غرِقت | فيه آفاقٌ ووارىٰ أعيُنا ؟
أم تُرى الصبحَ بياضا خطَّه | فى جبين الـكون وضّاحُ السَّنا[(٣)] ؟
لم نَزَل فى غسق مذ هزّ فى | أرضنا الطاغى بنودا[(٤)] وقَنا
وصباحى يوم نطوى بنده | بيد القهر وننجى الوطنا

---

(١) الـكريم من الخيل
(٢) الوسن : شدة النوم
(٣) المراد الشمس
(٤) جمع بند وهو العلم الـكبير

على طريقة حديث عنقاء[(١)]

قالها بمناسبة مذاكرة أدبية جرى فيها قول أبي سهل في طالع قصيدة :

* حديث عنقاء صب أدرك الأملا *

حديثُ عنقاء شَعْبٌ أنقذ الوطنا ... ولم يسلَّ سيوفاً أو يهزَّ قنا

والعزُّ يجعل أرضى روضة أُنفاً[(٢)] ... فان أناخ بها ضيم غدت دِمَنا[(٣)]

وليس يِلْدِزُ[(٤)] والبرد القشيب إذا ... ماساسنا الخصم إلا القبر والكفنا

عسفُ العدادرَنُ فاسكب عليه دما ... من الدماء الغوالى تغسل الدرنا[(٥)]

ولا يروعَنْكَ جند شنَّ غارته ... على البغاث فلاقى الجبن والوهنا[(٦)]

إن الصقور إذا انقضَّت تنافح عن ... أوكارها لم تهب جندا ولا ثكنا[(٧)]

وسيرة الحر إذ يُبلى بطاغية ... يسومه رَهقا[(٨)] أن يهجر الوَسنا

ويسرحَ الطرف فى غور وفى علم ... وينفذ السهم إن سرًّا وإن عَلنا

يبغى الحياة فان ضاقت على الهمم الـ ... ـكبرى فما هو ممن يعشق الزمنا

---

(١) العنقاء طائر مجهول لا يعرف ، ويراد بحديث العنقاء الامر لاحقيقة له . قال الشاعر :

الجود والغول والعنقاء ثالثة ... أسماء أشياء لم توجد ولم تكن

(٢) روضة أنف : لم ترع

(٣) جمع دمنة وهى البقعة التى اسودت من أثر الناس وبال فيها وبعرت مواشيهم

(٤) يلدز : قصر من أجمل قصور الآستانة وأعظمها زخرفة وبهاء منظر

(٥) الدرن : الوسخ

(٦) البغاث طائر اغبر لا شأن له ولا خطر . ومن امثالهم « إن البغاث بأرضنا يستنسر »

(٧) جمع ثكنة وهى مركز الاجناد ومجتمعهم على لواء صاحبهم وان لم يكن هناك لواء ولا علم

(٨) الرهق : الظلم

الدعاء للميت خير من تأبينه

قيلت فى مستشفى فؤاد الأول فى ربيع الآخر ١٣٦٨

تُسائلُنى هل فى صِحابك شاعر
اذا متُّ قال الشعر وهو حزين
فقلت لها : لا همَّ لى بعد موتتى
سوى أن أرى أخراىَ كيف تكون
وما الشعرُ بالمغنى فتيلا عن امرىء
يلاقى جزاءً والجزاء مهين
وان أحظ بالرحمى فما لى من هوى
سواها ، وأهواء النفوس شجون
فخلِّ فعولن فاعلات تقال فى
أناس لهم فوق التراب شئون
وان شئتِ تأبينى فدعوة ساجد
له بين أحناء الضلوع حنين



حرف الهاء

تحية دمشق سنة ١٣٥٦

زارها بعد نوًى طـال مَداها ... فشفَى قلبا مُجِدًّا فى هواها

راح نشوانَ ولا راحَ سوى ... أن رأى الشام وحيَّاه شَذاها (١)

نظرةٌ فى ساحِها تذْكره ... كيف كان العيش يحلو فى رباها

ما شكا فيها اغترابا ، وإذا ... حدَّثته النفس بالشكوى نهاها

من يحثُّ العيس فى البِيد إلى ... بَرَدَى يحمدُ للعيس سُراها (٢)

فهنا قامت نوادى فتيـة ... تبلغ النفسُ بملقاهم مُناها

أدبٌ يزهو كزهر عطرٍ ... أرشفته السحب من خمر نَداها

خُلق لو نَصح الخوْدَ به ... ناصح لاتخذت منه حُلاها

ملئوا «جِلَّق» أُنساً فأرى ... ليلَها طَلْق المُحيا كضحاها

شدَّ ما لا قَوا خطوباً فانتضوا ... مُرهفاتِ العزم طعنا فى لهَاها (٣)

عزَّة الأمـة فى نشءٍ إذا ... نشبت فى خطر كانوا فداها

وجَناحا فوزِها استمساكها ... بهدى الله وإرهاف قناها

هى عَين والهـدى إنسانُها ... فاذا ما فسقت لاقت عماها

رتِّـلِ الذكر مليًّا تره ... يغرس الحكمة أو يجنى جناها

---

(١) الراح : الخمر (٢) بردى : نهر دمشق

(٣) فى لهاها : اللهاة اللحمة المشرفة على الحلق

أطلقَ الأفكار من أصفادها　فمضت ترعى الثريا وسُهاها (١)

خضْ علومَ الكون أحقاباً وسرْ　فى سماها إن تشأ أو فى ثراها (٢)

لا ترى فى الدين إلا مغريا　بحُلاها أو مُزيحاً لقذاها

* * *

ذكّرونا سلفاً قام على　خُطَّةٍ غرّاء والدهر طواها

أمة يذكى التقى غيرتها　مثلما يذكى الندى نار قِراها

شرف لو آنستْه الشمس فى　أفْقه الأعلى لظنته أباها

* * *

أوَ يجدى مجدُ أسلاف إذا　غرِقتْ أجفان خَلْف فى كراها

أمة تلهو بذكرى تالد　عن طريف لم ترِم عهد صباها

فابعثوها هِمماً تسمو كما　سمتِ الجوزاء تزهو فى سَناها

ما الفخار الحقُّ إلا نهضة　أحكم الإيمانُ والعلمُ عراها

---

(١) الاصفاد جمع صَفَد ، وهو الوثاق يشدُّ به الاسير . والسها كوكب خفى

(٢) الثرى : التراب النَّدىُّ . والمراد به الارض

ها هنا شمس علوم

عدت من ألمانيا سنة ١٣٣٤ إلى الآستانة وكان خالى الاستاذ الشيخ محمد المكى بن عزوز توفى بالآستانة قبل قدومى بنحو شهرين فزرت قبره ، وبهذه المناسبة قيلت هـذه القصيدة :

رُبَّ شمس طلعت فى مغرب ‏ وتوارى فى ثرى الشرق سناها

ههنا شمس علوم غربت ‏ بعد أن أبلت (بترشيش)[1] ضحاها

بفؤادى لوعة من فقدها ‏ كلما أذكره اشتدَّ لظاها

فقفا لمحة طرف نقتنى ‏ عِبراً من سيرة طاب شذاها

* * *

أيها الراحل قد روَّعتنا ‏ بفراقٍ حرمَ العينَ كراها

لك نفس سرَّحت همَّتها ‏ فى مراعى العلم من عهد صباها

صاعرت للهو خدًّا ورأت ‏ فى ذُرا العلياء أهداف هواها

تتباهى البيض فى يوم الوغى ‏ بُظباً مرهفة لا بحلاها

وحجا أشرف من عليائه ‏ يجتلى زُهر الدياجى وسُهاها

* * *

غبْتُ فى ذكرى ليال غضَّة ‏ وثب الدهر عليها فطواها

---

(١) اسم قديم لتونس

إذ ربا « نفطة » (١) تزهى فى حلى زهرها الريّان من خمر نداها
وظلال بين دوح ناضر ونهور يبهر الكأس صفاها
وطيور الأيك فى أغصانها تخطف السمع بأنغام لُغاها
بين هاتيك الربا لقِنْتنا أدب العرب كتاباً وشفاها
وترحلتَ إلى تونس (٢) فى نعمة المغبوط إقبالا وجاها
صغت بالتدريس أطواقا شبا (٣) دُرّها بالجامع السامى فتاها
أينما كنت تداعت أمم تتملى روضة يحلو جناها
من علوم اللغة الفصحى إلى حكمة الشرع إلى علم سواها (٤)
لغة العرب ثقاف للنهى وعلوم الدين نبراس هداها
وتفاءلت فأزمعت النوى و« باستانبول » ألقيت عصاها (٥)
ألقيت الأنس فى أرجائها مثلما تلقى بها ريح صباها ؟
زرتُ مغناك (٦) ومن سمارك الـ قلم الباحث فى سنة « طـه »
ورجال بعثوا أرواحهم فى قراطيس تناجى من وعاها

---

(١) اسم بلدة فى ناحية الجريد ولد بها الفقيد وصاحب الديوان

(٢) كانت رحلة الفقيد إلى تونس بقصد الاقامة فيها

(٣) أضاء . وقوله فتاها أى فتاه الجامع على سواه بتدريسك فيه

(٤) كان الفقيد عارفاً بعلم الفلك وله فيه مؤلف مطبوع علاوة على رسوخه فى علوم الشريعة وعلوم اللغة العربية

(٥) كانت رحلته إلى الآستانة سنة ١٣١٨

(٦) المغنى : المنزل الذى غنى به أهله أى أقاموا وكانت هذه الزيارة سنة ١٣٣١

لم تعش فيها غريبا فقرا   بة أهل النبل أحكمت عراها

عرَّج الناعى على أندية   كنت إن وافيتها قطبَ رحاها

وردتْ «دار الفنون»[1] النعى من   صبحها الطالع فى لون دجاها

طب مقاماً «يابن عزوزٍ» فقد   كنت تعطى دعوة الحق مناها



دقاقة الاعناق

قالها فى مصر بمناسبة بلوغه سن الستين

قضيتَ ستين عاما فى الحياة وهل   قضيتَ يومين منها فى رضا الله

فلا يغرَّنْك أقلام وألسنة   تقول إنك ذو علم وذو جاه

وما أبرِّئ نفسى والهوى يقظٌ   بين الجوانح وهو الآمر الناهى

وافتك دقّاقةُ الأعناق[2] منذرة   فأرعها بانتباه سمع أوّاه[3]

سواك جاوزها فى صبوة[4] فهوى   فى حمأة من حياة السادِر اللاهى[5]

فانهض إذا ما لمحتَ الخير فى عمل   وخلِّ «سَوْفَ» لعزم خامل واه

---

(١) معهد أنشأته الحكومة العثمانية بالآستانة يدرس فيه علوم الدين والعربية وكان الفقيد رحمه الله مدرس علم الحديث بهذا المعهد. والمدرس لآداب اللغة العربية فى ذلك المعهد معروف الرصافى

(٢) هى العشر السنين ما بين الستين والسبعين. وهكذا يسميها العرب

(٣) الاواه: الموقن، أو الرحيم الرقيق، أو المؤمن

(٤) جهل الفتوة   (٥) السادر: الذى لا يهتم ولا يبالى ما صنع

الى الحاكم المسلم

رُزقتَ جاها فحَلّ العزَّ يحميه والعزُّ حصن وتقوى الله تبنيه

قُلِّدتَ حكما ومنهاج السياسة أن ترعى الشريعة فيما أنت قاضيه

أنت الهمام الذى يقضى الليالىَ فى صحو من الحزم لا فى سكرة التيه (١)

ولست أنت كزيدٍ إن يُصب هدفاً أو لا يصب، قلَّ لاحيه (٢) ومطريه

بل أنت كالبدر يدرى الناسُ قاطبة لو حاد طرفة عين عن معاليه

يجتاب (٣) سيرتَك النقادُ فى ملأ أو فى طروس بلوم أو بتنبيه

والشعب كالدوح يستمرى الغيورُ له أخلافَ مزنة عرفان فيحييه (٤)

ولا فلاح إذا ما قيدَته يدٌ عن النهوض إلى أقصى أمانيه

ومن يُذقه رَحيقَ الأمن يرعَ له حسنَ الولاء وبالأرواح يفديه

وما الولاء سوى مهر لهمة من يرى سماء الهدى أعلى مراقيه

فان تضع لبنات فى بناء علا تنافسِ القوم فى إنجاز باقيه

وإن نهضتَ لخصم يوم مَلحمة كانوا الأسنة طعنا فى تراقيه (٥)

---

(١) التيه : الكبر

(٢) لائمه

(٣) يقطع ، من اجتاب الفلاة أى قطعها

(٤) يستمرى : يستدرّ ، والاخلاف : جمع خلف وهو للناقة كالضرع للشاة . والمزنة : القطعة من السحاب الذى به ماء

(٥) جمع ترقوة وهى العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال فلكل إنسان ترقوتان

حُلىٰ السياسة حلمٌ إذ يزلُّ فتى لا يعرف الناسُ شراً فى مساعيه
وإن تَبارىٰ وُلاةٌ فالفخار لمن يسوس حراً باصلاح وتوجيه
وللرئيس عيونٌ من بطانته تفرى الظلام وتُورى ما انطوىٰ فيه
أوفىٰ البطانة عهدا من يُبلِّغ ما دراه من غير تزوير وتمويه
والعبقريةُ والشورىٰ إذا التقتا على بساطك قرَّت عينُ رائيه
يستطلع المستشيرُ الرأىَ يردُفه[1] صفاء أفئدة كانت تجافيه
تسود بالحكم أحقابا وذلك ما أعنى إذا قلت : ليت الله يبقيه
والخلد للصيت والرأى الذى ازدهرت به الصحائف واستدَّت مراميه[2]

فى مصنع الزجاج

قيلت فى دمشق سنة ١٣٣٢

إن هـذا الزجاج يُصنع كأسا ليبيت الحليمُ منا سفيها
ويصوغ الدواة من بعد كأس ليصير الجهولُ حَبراً نبيها
فهو كالفيلسوف ينفث غيًّا ثم يأتى بمـا يروق الفقيها

---

(١) يتبعه
(٢) الصيت : الذكر الحسن . استدت : من السداد بمعنى استقامت

الكرمة

من بديع الـكون أيدٍ غَرست دوحة فى تربة طاب ثراها
تتحسَّى لبن المزن الى أن تجلَّت كعروس فى حُلاها
ترسـل العنقودَ ما أشبهه بالثريا وهى تُزهىٰ فى دُجاها
يرشفُ البائسُ فى القوم كما يرشف المترَف من شهد لمَاها [(١)]
هل رعىٰ الانسانُ عهدَ الله فى دوحة تطعمه حلوَ جناها ؟
قلبَ العذبَ الى مُرّ وكم قلب الخيرَ الى شرّ فتاها [(٢)]
حبس الخمرةَ حتى عجـزت [(٣)] واستبان الغول [(٤)] فيها وتناهى
ملأ الابريقَ والـكأسَ وما صبَّ فى أحشائه إلا عتاها [(٥)]
فهو سكران فلا تسمع فى نطقه الا هُـذاء وسفاها

❊

افحام العذول

قال العذولُ ، وقد محضتُ مودَّتى من يزدهى فى نخوة وألفتُ قربْه :
أتحبُّه وقد ازدهاهُ تعظم ؟ فاجبته : لولا التعظُّم لم أحبَّه

---

(١) اللمى : السمرة فى الشفة (٢) فتاه : ضل
(٣) صارت عجوزا ، والعجوز من أسماء الخمر
(٤) الغول : السكر (٥) العتاه : الجنون

ويحها من ساعة

كنتَ تخشىٰ اللهَ فى السرِّ فما ... لك ترعىٰ حول نار محرقهْ

أخلا القلب من التقوىٰ وقد ... كان بالتقوى كشمس مشرقه

لا يغرَّنَّكَ عيشٌ رغــدٌ ... وزهور فى الربا متَّسقه

ومُنًى يسعدها الجاهُ فلا ... تجد الأبوابَ يوما مغلقه

لا يغرَّنْكَ مديحٌ رائق ... تتعاطاه شفاه لبقــه

رُبَّ صيت سار فى الناس وما ... هو إلا كلمٌ مختلقه

يمهل الله نفوسا طالما ... قذف الجهل بها فى موبقه

ويحها من ساعة لو سألت ... عندها الأمن لعادت مخفقه

أفلحتْ نفس تناجى ربها ... وهى من أسر هواها مطلقه



كفى المرء نبلا

تشطير بيت اقترحه عليه أحد الأدباء فى تونس

«فمن ذا الذى تُرضىٰ سجاياه كلُّها» ... فلم يلقه بالعــذل يوما مراقبــه

فقل للذى يحصى عيوبَ ذوى العلا ... «كفىٰ المرءَ نبلا أن تعدَّ معايبه»

تقدير الأدب والألمعية

أحبُكَ حبَّ الأديب الذى صفا ذوقُه وتسامىٰ حِجاهُ
وكم تاق سمعى الى سمر لذيذ فيلقى لديك مناه
وإن تطْوِ عنَّا حديثك لم نجد نَشوةَ الأنس فيما سواه

مرقاة العلا

نبتت نفسُكَ فى وادى هُدًى وشفت من منهل العلم صداها
واكتست بالحمد أسنىٰ حلل أورثتها فى الورى عزا وجاها
تلك مرقاة العلا والنفس إن أحرزتها بلغت أقصىٰ مناها
أتراها أمنت عاصفة من هوى تطفىء بالعصف سناها
يصرف الله الهوىٰ عن أنفس جعلت طاعته قطبَ رَحاها

القلب كالرحى

لا تُخلِ نفسَك من فكر تجولُ به فى الصالحات فحبسُ الفكر يضنيها
والقلب إن لم يدُر يوما على رَشَد دارت عليه هموم عَزَّ راقيها
مثلُ الرَّحى إن تدِرها وهى خاويةٌ من الطعام فإن الطحن يُرديها



حرف الواو

هى فطرة

قيلت محاورة لمن أطلق فى تفضيل عهد المشيب
على عهد الشبيبة

سَمَّيتَ يا هـذا الشبيبةَ سكرةً والشيبَ صحوا
وأتيت فى التمثيل بِدْعاً وهو للأدباء سلوى
أما أنا فرأيتُ فى بعض الشباب عُلا وتقوى
ورأيت رأىَ الحق فى بعض الشيوخ هوىً ولهوا
نفسان : تحمـــل هذه كدراً ، وتحمل تلك صفوا
هى فطرة بيديك فاصـ ـبُغها كما تبغى وتهوى
تزكو إذا انسجمت بها من مزنة العرفان جَـدوى (١)
وتحـور أنَّى ساورتـ ـها من جليس السوء نجوى (٢)

---

(١) المزنة : القطعة من السحاب الأبيض . والجدوى : المطر العام أو الذى لا يعرف أقصاه

(٢) الحور بالفتح : النقص . وبالضم : الهلاك . وساور : واثب . والنجوى: السر ، يقال نجاه نجوى أى سارَّه

حرف الياء

لوعة الفراق

قف بنا يا حادىَ الركب مليًا (١) فالصَّبا أهدت لنا أطيب ريا

قف مليا ذا هو الربع الذى كنتُ قد أودعتُه قلباً شجيًّا

لستُ أدرى أرَعوا بعد النوى عهدَنا أم أحدثوا فى العهد شيا

قف عسى أن أجنىَ الأنس الذى كنت أجنيه غدوّاً وعشيا

حسبنا فى العيش أنا لا نرى بيننا قلبا من الودّ خليا

وأحاديثُ هى الراحُ التى مجّها فى الدَّنِّ عُنقود الثريا

روَّع البينُ فؤادا لا يُرى فزِعاً يوم يُلاقى المشرَفِيَّا

وبدا الصبح عَبوساً بعدما كنت ألقىٰ ليلهم طلق المحيَّا

قيل لى الطيفُ أنيس ، قلت ما ترك الوجدُ كَرًى فى مقلتيا

علِموا التمثالَ يُذكى فى الحشا لوعة الشوق فأهدوه إليَّا

ليس لى من سَلوةٍ عنهم ولو بتُّ طول الليل للبدر نجيا



---

(١) الملىّ : الساعة الطويلة من النهار

رثاء أحمد تيمور باشا

رحمه الله

أهذا الدجىٰ والصبح ما زال خافيا ... أم الصبحُ وافىٰ حائلَ اللون داجيا
أُقلّب وجهى فى الحياة فلا أرىٰ ... لذيذا وكان العيش بالأمس زاهيا

✡

حمامةَ وادى النيل راعَ حُشاشتى ... هُتافك إذ أرسلتِه اليوم شاجيا
سقىٰ دوْحَك الوسمىُّ وهناً (١) فما لنا ... نرى غصنه الميّاد أغبرَ ذاويا
لحىٰ الله صوتَ الهاتف (٢) اليوم إنه ... نُعاب غراب يقرع السمع جافيا
أصاخ له صحبى فأنبأ بالتى ... تشُبُّ الأسى بين الجوانح طاغيا
نعىٰ عبقرىَّ الشرق تيمورَ فاغتدىٰ ... لمنعاه قلبُ الشرق كالقرح داميا
حنانيْك عزِّ العلم والمجد والهدي ... فقد كان علاّما مَجيدا وهاديا
ترحَّل بالتقوى وأبقى وراءه ... ثناء كنفح المسك يسطع ذاكيا
رعى الله قبرا ، بل رعى الله روضة ... تبوّأها من كان للعهد راعيا

---

(١) الوسمى : مطر الربيع الاول . والوهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه

(٢) الهاتف : التليفون ، لأن نبأ وفاة الفقيد رحمه الله وصل إلينا من هذا الطريق صباحا .

لماذا يبكى الطفل

ساعة ولادته

قالها فى الآستانة

كم ليالٍ مضت ولم تكُ شيا ... فلِما صرتَ نامىَ الجسم حيا ؟ (١)

كنتَ فى ظلمـة فوافيتَ نورا ... تتملاه (٢) بكرة وعشيّـا

أكرمتْ نُزلَكَ الحياةُ وأبدت ... لك يوم الولاد وجهاً سنيا

فعلامَ استقبلتها بنحيب ؟ ... إن فى ذا النحيب سرًّا خفيا

من يلاقى البشيرَ فى هذه الدار ... فسرعانَ ما يلاقى النعيّـا

كيف يصفو عيشُ الأريب وقد جا ... ور قوماً ضلوا الصراط السويا

والهوىٰ كالغراب إن ألف النف ... س رأيت النعيم منها قصيا

فاصرفِ النفسَ عن هواها إذا ما ... رمت عيشا من الهموم نقيا



---

(١) فلما صرت . يريد : فلم صرت ؟ إذ المقام للاستفهام . وقد جاء إثبات الف «ما» فى مثل هذا فى الشعر

(٢) تتمتع به

بطل الريف

قالها بعد عودته من مقابلة سيادة الأمير محمد عبد الكريم الخطابى على ظهر الباخرة بميناء السويس فى منتصف ليلة السبت ١١ رجب سنة ١٣٦٦ ﻫ

قلتُ للشرق وقد قام على قَدَم يعرض أرباب المزايا :
أرِنى طلعةَ شهم ينتضى سيفه العضبَ ولا يخشى المنايا
أرنيها ، إننى من أمة تركب الهول ولا ترضى الدنايا
فأرانى بطلَ الريف (١) الذى دحر الأعداء فارتدُّوا خَزايا (٢)
غضبة حرّاء هزَّته لأن يُنقذ المغربَ من أيدى الرزايا
شبَّ حربا لو شددْنا أزْرَها لأصابت كلَّ باغ بشظايا

الألمعى

دَعوكَ الألمعىَّ فقلتُ خلُّوا لطلاب العلىٰ اسمَ الألمعىِّ
وأما من يبيع عُلىً بلهو فما فى ثوبه غيرُ الغبىِّ

---

(١) الامير محمد عبد الكريم الخطابى
(٢) دحر : طرد وأبعد . والخزايا : جمع خزيان وهو من عمل أمراً قبيحا فاشتد حياؤه

أنت صدر أينما كنت

شرفٌ كالشمس فى رَأْد الضحى (١)

وثناءٌ كشذا المسك الذكىّ

غاية مضمارها الغوص على

درر العلم بفكر الألمعىّ

فاطلبِ الحكمةَ ما عشت ودع

زُخرف الدنيا لغمر (٢) أو غبى

لا تضق صدرا إذا لاقاك من

مجلس القوم جفاء الجاهلى

أنتَ صدرٌ أينما كنت وإن

جلس الأذنابُ فى صدر الندى (٣)

---

(١) رأد الضحى : ارتفاعه

(٢) الغمر : الجاهل لم يجرّب الامور

(٣) الندى : النادى

العمر وعاء

عهدتُكَ فى الثقافة عبقريا ورأيك يكشفُ الأمدَ القصيا
ونفسك لا تطيع هوًى إذا ما غـزا الأهواءَ قلبـا سَمْهريا
عـلامَ صمدتَ فى واد تلاقى على جنباته لغوا وغيا
وآذانا تصامَمُ عن رشاد إذا هزَّ الطغاةُ المشرفيا
فمهما اسطعت من مرمىً فعرِّج عليه ولا تنى ما دمتَ حيا
فعمرُ المرء فى الدنيا وعاء عزيز حين يملؤه حليا
وما حلى الحيـاة سوى صنوف من الحسنىٰ حلت فى العين رِئيا(١)

أسرب القطا

أسِربَ القَطا والبيْنُ أقصىٰ مَغانِيا تمليت أنسا فى رُباهـا ليـاليـا
أحنُّ الى المغنىٰ الانيس وأينقى تجوب لملقاه القرى والفيافيـا
أعرنى جنـاحا فالمسالك وعرة وأخفافُ تلك العيس أمست دواميا
أعرنى جناحا كىْ ألمَّ بجـيرة وشمس تهادى فى السماء كما هيا
فقال: أعشت الدهر فى رأس شاهق وما زلت عن مجلَى الحضارة نائيا!
من الإنس أسرابٌ تطير كأنها بروق اذا مرت تشق الدياجيا
فـكن طائرا لا يستعير قوادما — اذا رام مغنى قاصيا — أو خوافيا

---

(١) منظراً حسنا

ملحق

فاتنا أن ننشر القطع التالية فى أبوابها من حروف القوافى ، فرأينا أن نلحقها بالديوان ، على أن تلحق بحروفها فى طبعة أخرى إن شاء الله

ابتغ العزة للشرق

قيلت فى عهد رياسته لمشيخة الأزهر

لا تُسامَى كلّما خضتَ غمارا
واذا رُضْتَ جواداً لا يجارَى
هاتِ من عزمك ما ترقى به
أمــةٌ هِيضت جَناحا و فِقارا
إن يصحّ العزم من قوم فلا
يلتقى شانئُهم إلا تَبــارا
فابتغ العزةَ للشرق ولا
ترجُ بالبغية جاها أو نضارا
ولقاء الموت فى ذَودك عن
ساحه يُكسب ذكراك فخارا
و بغاة فتحوا فى صفنــا
ثغُرة أن نبُدلِ العطفَ نِفارا
حسبنا ما فتَّ فى أعضادنا
من سموم البين بثُّوها ضرارا
سلبونا الرأىَ حتى أصبحت
أوجه الحكم من الشورىٰ قفارا
ننطق الحــقَّ صراحا مرة
فنرى هُجرا من القول مرارا

لا يطيب العيش حتى تنثنى
خيلهم عن مطلع الشمس عِثَارا
فاسأل المغرب كيف امتلكوا
بعد الاستعمار زرعا وعَقارا
أبرموا العهد ولم يوفوا على
أنهم لاقوا كراما وخيارا
ورعينا منهمُ الجارَ ولو
أنصفونا حمدوا منا الجوارا
سبقونا بفنون وعلت
يدهم فى الحكم قسراً لا اختيارا
وخداع حين ولوا حكما
مستبدا ودعوه مستشارا
أنشأوا فينا رياضا ليتنا
نجتنى من ناعم الغصن ثمارا
وأباحوا الشيص من عذق ذوى
لفتى فاق ذكاء ووقارا
وضعوا للدرس منهاجا ولم
يكُ فى المنهاج ما يشفى الأوارا
شذ منّا فئةٌ ساروا على
أثر المنهاج فارتدوا حيارى

مدَّ هذا الشرق باعاً واستوى
وأتى الغرب فأضناه بجارا

كاد ينس المجد لولا فتية
أصبحوا من نشوة العلم سُكارى

بحثوا فى مكمن العلم ولم
يَدَعُوا منه جبالا أو بحارا

وعلت أعناقنا بعدُ فيا
طالما ظلت من العسف قصارا

وشعور كشعاع الشمس إن
جال فى أرض يمينا ويسارا

ملأ الله به أفئدة
قدرت كيف يخونون الذمارا

ما علينا لو تمادَوا فى الوغى
أو أرونا من رحى الحرب قرارا

ولدى قومى قنىً مرهفة
وإذا راموا صعودا فمطارا

ونفوس سئمت من ترف
وتعشقن القتامَ المستثارا

لا رعى الله عهودا قد كست
بلظى الضيم صغارا وكبارا

حاولوا أن يَهبِطَ الأزهرُ من

شاهق اذ كان للدنيا منارا

تنبع الحكمة من صدر فتى

لبس الرشد شعارا ودثارا

من يد تحسن صنعا وحجا

يستدرُّ الفكر ليلا ونهارا

من برلين الى دمشق

قيلت فى دمشق عند وروده من ألمانيا سنة ١٣٣٧

سئمتُ ، وما سئمت سوى مُقامى
بدار لا يروج بها بيانى

فأزمعتُ الرحيلَ ، وفرطُ شوقى
إلى بَرَدَى تحكَّم فى عِنانى

بكرت إلى القطار فسار تَوًّا
إلى مَرسى السفين(١) كافعوان

نهضتُ إلى السفينة فى رفاق
سلوتُ بأنسهم نُوَبَ الزمان

وقضّينا بها عشرين يوماً
فلم نلج البلاد ولا الموانى

تقلبها العواصفُ كيف شاءت
وتقذفها بأمواج سِمان

ألا بُعداً لما تذكيه ريح
على الدأماء(٢) من حرب عَوان

⊙

رست بمياه لندن وهى قصوىٰ
فلا بَشَراً نُحس ولا المغانى

---

(١) همبورغ (٢) البحر

ووافاهـا العريف ومُسـعدوه
سِراعا فى زوارق كالهجان
وأبصرنا جفاءً فى وجوه
مقطبـة وأحداق روانى
فقل للانـكليز صرعتَ خصما
وحزتَ السبق فى يوم الرهان
فخـلِّ المشرق ينهض مستقلا
فمـا هو باليئوس ولا الجبان

⊙

أرُبّانَ السفينة قف مليّـاً
نؤبّن فاتحا ثبت الجَنان
كأنّ رياح هذا الصبح مرت
بأرواح تنعمّ فى الجِنـان
أرى جبـلا تسنمه قديمـا
دعاةُ الحق والسننِ الحسان
وساسوا أرضَ أندلس بعدل
كما صنعوا بأرض القيروان
ومـا انقلبت إلى الإسـبان إلا
على أيدى المزاهر والقيان

عـبرنا الدردنيـلَ ضُحى وجئنا
فَروق[1] وقد تهـاوت فى هوان

لمحت على الوجوه بها كسوفاً
وكدت أرى التجهم فى المبانى

يميس بأرضها الحلفـاء سكرى
وإن لم يحتسوا بنـت الدنان

ولم أعهـد بهـا إلا حصونا
كستها روعـة السيف اليمـانى

⊙

برحت فروقَ مأسوفا وهٰـذى
رُبا إزمـير حالـكة الدِّجان[2]

يجوس خلالها اليونان مرحى
مراح الفرس يوم المهرجـان

فيا نكدى يسوس الخصمُ أمرى
وكنت أذقته حرَّ الطعـان

⊙

قصدتُ الى الشآم ولست أدرى
أيقسو أم يلين بهـا زمانى

---

(١) فروق : إستانبول

(٢) جمع دجن وهو إلباس الغيم الأرض .

وللافرنج في بيروت عين

يُسمِّي من يساجلهم بِجَانِي

وصلت الى طرابلس وحيدا

أعاني بالتنكر ما أعاني

هلمَّ حقيبتي لأحطَّ رحلي

فنفحُ زهور جِلَّقَ في تداني

فخض بي أيها الحادي رُباها

وألق عصا الترحُّل غير واني

حللتُ بها ولم أفقد ندامى

على أدب وعيشا في ليان

وللأقدار في الدنيا صروف

طويت على الحديث بها لساني

تصحيح

في صفحة ٨٨ السطر ٧ الصواب : نبلاً من الشرر

فهرس

« خواطر الحياة »

صفحة	الموضوع
٣	مقدمة الناشر
٥	مقدمة خواطر الحياة
٧	أى فلسطين
١١	بعض أمراضنا الاجتماعية
١٤	العرب والسياسة
١٥	قوس الغمام
١٥	حمرة الشفق
١٥	ما ليل أرضى
١٦	الأثرة بين الاصدقاء
١٧	تحية المجمع
٢٢	أيها الانسان
٢٣	تدريس صناعة الانشاء
٢٥	عبرات الاشجار
٢٥	ريح تنسف فى روضة
٢٦	وجه الموت غير كئيب
٢٧	شكر على تقريظ
٢٩	تمثال الأخلاء
٣٠	الاخ الصديق
٣٠	فى مجلس أدب بتونس
٣٠	فى الدَّين
٣١	قطب رحى الحرب
٣١	ما بين السطور
٣٢	ثوب المذنب كفن
٣٢	تقلب الزمان
٣٣	إهابة
٣٥	تقريظ
٣٧	كيف ألقى النعيم إن أنا مت
٣٨	تمريق الشعب
٣٩	تحايا الود
٤١	الايمان روح السعادة
٤١	الضجر من كثرة الاسفار
٤٢	خواطر مريض
٤٢	سوسة العمر
٤٣	معنى فى أزجال البدو
٤٣	أحمد تيمور باشا
٤٣	رقة الطبع تزيد المودة صفاء
٤٤	الانتصاف لعلم الشريعة
٤٥	الرأى النضيج
٤٥	زهرة الدنيا أخلائى
٤٦	لم أكن بمداج
٤٦	الشتاء والربيع
٤٧	تهنئة بالقضاء

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٤٨	يبغى الورد عذبا	٧٠	حسن العهد
٤٩	عتاب على مزاح	٧٢	أنباء تونس
٤٩	رفقاً بها	٧٣	المعارف والصنائع
٥٠	إغاثة قطاة	٧٤	فلسطين
٥١	الرجاء أساس كل نجاح	٧٥	الحياة الاجتماعية
٥٣	جناحان	٧٦	صيانة النفس عن الملق
٥٤	نهضة مصر	٧٧	حياة اللغة العربية
٥٤	بلغ السيل الزبى	٧٩	تشطير بيتين
٥٥	ما أضيع البرهان عند المعاند	٨٠	كذلك كان فى الدنيا على
٥٦	الشيوخ والفتيات	٨٠	مناجاة الفكر
٥٧	فضل اللغة العربية	٨١	أنت بدر الضحى
٦١	بكاء على مجد ضائع	٨١	على لسان قلم ناضل عن حق
٦١	زجاجات المصور	٨٢	شهر صوم وجهاد
٦٢	رثاء وزير	٨٢	قاذفات القنابل
٦٢	الوفاء بعهد الصداقة	٨٢	التواضع والكبر
٦٣	الصداقة والعزلة	٨٣	المحجر الصحى بالمريجات
٦٣	خلوا عداتى	٨٣	البرد فى الحديقة
٦٤	الجرس	٨٣	القطار فى غوطة دمشق
٦٤	الهدى والضلال	٨٣	الوفاء فى اليسر والعسر
٦٤	الرياء غش	٨٤	عهد الشبيبة والمشيب
٦٥	عواطف الصداقة	٨٥	أمنية عليل
٦٧	خاتم خالق	٨٥	نجوم الأرض
٦٧	أموت مجليا	٨٦	ذكرى
٦٨	بين المستشفى والمسجد	٨٩	كيف ينشق القمر
٦٩	ما رقمت يدى	٩٠	كم أخزى الهوى عرضا

صفحة	الموضوع
٩١	خواطر فى دمشق
٩٤	فى الاعتقال
٩٥	لحا الله الغواية
٩٦	التعليم الدينى بمدارس الحكومة وجامعاتها
٩٨	المحبة الصادقة
٩٩	العيد فى برلين
١٠٠	يا منطقيا
١٠١	رثاء أبى حاجب
١٠٢	بين الشفقة والشوق
١٠٣	أعمار زائفة
١٠٦	تحية المقام النبوى ومناجاة الرسول
١٠٨	وما الود إلا عهود تراعى
١٠٨	لم أذق طعم الذل
١٠٩	خائنو أوطانهم
١١٠	كرم الاصل
١١١	مناجاة النفس
١١٣	الصداقة وحرية الرأى
١١٣	كبر الهمة
١١٤	من عجيب السحر
١١٤	نشوة الشعر
١١٤	التلميذ العاق
١١٥	معلم الكشاف
١١٥	منار بشاطىء نابلى
١١٦	ذكرى المولد

صفحة	الموضوع
١١٩	ولقد ذكرتك
١٢٠	لم أضع للود حقا
١٢٠	أنت ريحانة الحياة
١٢١	الرتيمة
١٢٣	صرخة المغرب
١٢٥	عدو الملق
١٢٦	عند ينبوع زغوان
١٢٦	يا قطار
١٢٧	الخلافة والانقلاب التركى
١٣٠	على ضريح صلاح الدين
١٣١	السواك
١٣١	ثلج فى السحر
١٣٢	طباب الشرق
١٣٤	ليتنى ما عرفتك
١٣٥	صقر قريش
١٤٥	تحية الوطن
١٤٧	الدِّين سم
١٤٨	هى ملتقى الضدين
١٤٩	الشعور طليعة الفلاح
١٤٩	جذوة أو زهرة
١٥٠	حب الوطن
١٥٠	فى كل شىء له آية
١٥٠	الذل فى البطالة
١٥١	من أديب إلى فقيه
١٥١	من الفقيه إلى الأديب

صفحة	الموضوع
١٥٢	ذكرى المولد النبوى
١٥٤	افتتاح مؤتمر المجمع اللغوى
١٥٧	بكاء على قبر
١٥٨	الشعر كالبيداء
١٥٩	مساعى الورى شتى
١٦٠	كأنى دينار
١٦١	الملك الطبيعى أو راعى الغنم
١٦٢	فقدوا أحلامهم
١٦٢	النـــدامى
١٦٣	مروحة الروح
١٦٣	إحضار الارواح
١٦٤	الرجاء تعلة
١٦٤	برقية الشوق
١٦٥	مشاهداتى فى الحجاز
١٧٢	رضيت عن اغترابى
١٧٣	أسمع جعجعة ولا أرى طحنا
١٧٣	عذاب الصامتين
١٧٤	كلانا ناظر ورداً
١٧٤	أحمدُ الظعنَ
١٧٤	خانها الحراس
١٧٥	الزيارة دعامة الصداقة
١٧٥	نتجى الوطنا
١٧٦	على طريقة حديث عنقاء
١٧٧	الدعاء للميت خير من تأبينه
١٧٨	تحية دمشق سنة ١٣٥٦

صفحة	الموضوع
١٨٠	ها هنا شمس علوم
١٨٢	دقاقة الاعناق
١٨٣	إلى الحاكم المسلم
١٨٤	فى مصنع الزجاج
١٨٥	السكرمة
١٨٥	إلحام العذول
١٨٦	ويحها من ساعة
١٨٦	كفى المرء نبلا
١٨٧	تقدير الأدب والألمعية
١٨٧	مرقاة العلا
١٨٧	القلب كالرحى
١٨٨	هى فطرة
١٨٩	لوعة الفراق
١٩٠	رثاء المرحوم تيمور باشا
١٩١	لماذا يبكى الطفل ساعة ولادته
١٩٢	بطل الريف
١٩٢	الألمعى
١٩٣	أنت صدر أينما كنت
١٩٤	العمر وعاء
١٩٤	أسرب القطا
١٩٦	ابتغ العزة للشرق
١٩٩	الناس
٢٠٠	من برلين الى دمشق
٢٠٤	فهرس

